

وفاء عبد الرحمن

رواية



رغبات شيطانية

وفاء عبدالرحمن

رغبات شيطانية





رغبات شيطانية

- رغبات شيطانية (رواية)
- وفاء عبدالرحمن (روائية سعودية)
- الطبعة الأولى : 2011
- تصميم الغلاف: موسى الموسوي

دار فراديس للنشر والتوزيع

المنامة - مملكة البحرين / ص. ب : 33226

هاتف : 00973-39461232

e-musawi2000@hotmail.com

e-mail:darfaradees@gmail.com

www.darfaradees.com

الترقيم الدولي:978-9953-542-93-5

الإهداء

أراهم من بعيد...

في غموض الشَّوقِ...

عقل يتصرف وأشواك تحيد

"شعور يتسلل داخلك ببطء، يعي تماماً نقاط ضعفك، يبدأ بالتهامك كوجبة خفيفة "

تطارد عيناها دقائق الساعة المعلقة على حائط غرفتها، يزداد قلقها وزوجها يقضي الليل في مؤانسة كؤوس الخمر، تنوي منعه من جاهلية قد يرتكبها ليلة اختبارات أبنائها "سمر وفارس"النهائية. مشت كمشي الحمام تطل من نافذة غرفتها كأنها تحرسهما، ما أن سمعته يركن سيارته حتى انهارت شجاعتها وأسرعت تختبئ في فراشها تحت ستار النوم .

تخور أنفاس زوجها راشد ويده تراوغ ثقب الباب وسط استنكار رجلين من جيرانه يمشيان تجاه المسجد القريب لأداء صلاة الفجر، تتوهج ثيابهما البيضاء وسط إضاءة فوانيس الشارع الباهتة .

تنمو سمعته كنبتة ضارة يبتعد عنها الجميع . نشوته المخمورة تسلخ سكون الليل. كثيراً ماتخذ من شهقات طفليه مساء أذاب فيه اضطرابه، طاردهما بتهم لم يعقلاها، تفاعلت الليالي الحارة مع سخونة صراخ أبنائه

مما أضرم الحقد في قلوب جيرانه، وجعل مواقفه تنحت في ذاكرة لا تنسى، حتى بعد أن كبر صغيراه.

عاش طفولته حرماناً أسقط روحه، يتلهف لحظة رضا من والد يبني الوقت بقسوة، يشده من فراشه بعنف وقت صلاة الفجر، وحين يراه يلعب بشقاوة مع أخته الصغرى، وحين يأمره بالمذاكرة !

شعر في كثير من المرات أن والده يحقد عليه، لم يتمكن من نزع صورته يهدده بعد أن يضربه وهو في الخامسة من عمره " إن بكيت نزعت لسانك وعلقتك على الجدار".

غاصت صرخاته في أعماق سحيقة، يختبئ حين يبكي، تنتابه حالة ذعر، يرتجف جسده ويفقد السيطرة على حركة أطرافه حتى بعد أن كبر.

لم يجد راشد أمناً يركن إليه، أكثر ما يخشاه يد تهوي عليه بلا رحمة، دون أن تحضنه والدته في يوم، عاشت أجواء عوز بعد وفاة والديها وهي في الثانية من عمرها إثر مرض الجدري، تزوجها ابن عمها والد راشد .. كما هو معهود في ذلك الزمن: ابنة العم لابن العم، اعتادت الفقد وحرمت حناناً لم ينله منها أحد !

يمر اليوم خلال طفولته بخطط مكثفة وجادة اعتقلت روحه، أوقات محددة للطعام والمذاكرة والنوم، الضحك من الشيطان والمرح من عمل النفوس الضالة !

غمس راشد رأسه في الكتب الدراسية كما عوده والداه، تثور حاجته للعب دون أن يسمح له بالخروج من غرفته الصغيرة المغلقة، يغرس رأس قلمه الرصاص الحاد ويحكه بقوة حتى يثقب صفحات دفتر بأربعين ورقة بخط لا يتعدى سنتيمتراً واحداً .

لم يتخلص من هذه العادة رغم عقاب والديه المتوالي، تطور نخر الورق وانتقل لنخر الوسائد في مراهقته. تجنح روحه للسلوك الحاد دون أن يعي ذلك.

لم يكن يرى سوى أخواته الثلاث بجلاليبهن الطويلة. جرب الخمر خلال دراسته في بريطانيا سنة 1985 تخصص" إدارة أعمال "، بهتت عيناه المنفوختان واصفرت بشرته الحنطية منذ نزوله لمطار هيثرو في لندن، تتمايل الفتيات أمامه بسيقانهن المكشوفة وصدورهن العارية، أكمل طريقه داخل المطار يرتدي بنطال الجينز للمرة الأولى، يهرب من عيون يظنها تراقبه، يشعر بضآلته رغم قامته المائلة للطول، عكف داخل غرفة السكن الجامعي منذ أن وصل إليها يرافقه شاب من جنوب أفريقيا.

فقد شهيته للطعام عدة أيام، تناول خلالها بعض الفطائر مع كأس حليب يحضره له صاحبه الأفريقي مستنكراً ميله للعزلة، همه الوحيد المحاضرات والكتب الدراسية دون أن يحقق معدلاً عالياً. لم يشارك يوماً في احتفالات الجامعة، إلا أنه تعرف في السنة

الدراسية الثالثة على صديق مغربي يعمل في إحدى المقاهي، دعاه إلى سهرة تملؤها كؤوس البيرة والويسكي. أصبح الخمر يهادن جوفه الحائر ويسلخ عنه ألم ماض تعيس ويطلق مشاعره بفوضى لا يقيدها وقت ولا تجلدها قيم.



تمكن راشد أخيراً من فتح الباب، اندفع جسده للداخل مصطدماً بالجدار، أصدر ضجيجاً أفزع قطة شهباء تنام بين أغصان شجرة المنزل الكبيرة، فقفزت بعيداً في لحظة شدت أمل غطاء السرير على جسدها النحيل مذعورة، تبرق عيناها في الظلام.

يصعد السلالم متجهاً لغرفة النوم. إضاءة المنزل تنام في صمت كئيب، تعرف قدماه خريطة المكان دون حاجة للنور. الدور الأعلى مكان سكن أفراد العائلة الأربعة، بينما الأرضي للمطبخ ومجالس الضيوف في فيلا لا تتعدى مساحتها خمسمائة متر.

تشابهت الأبواب أمامه، فتح باب غرفة ابنته الكبرى سمر، ضوء المصباح الوردي يترنم في أنحاء غرفتها. شد غطاء سريرها ليسقط كتاب فيزياء الثانوية العامة على الأرض من يدها بعد أن غطت في نومها خلال المذاكرة للاختبارات النهائية.

مسح على فخذيها متجهاً للأعلى، صرخت بفزع ترتجف كعصفور يتآكل قلبه :

- ابتعد عني !
- مسك الشيطان !؟ " مستنكراً "

هوى على جسدها ورائحة فمه تلوث أنفاسه تكاد تخنقها، يصلها صوته كنحر سكين :

- أيقظني الشوق، ألصقيني في حضنك " أمل" .

يقطر لعابه على وجنتها كقطران يحفر أحلامها الساكنة، ظهر صوتها غائراً من قدر مسنون فوق عينيها الفزعتين :

- أبي .. ماذا تفعل !

لامست نبرتها جزء من وعيه المشتت، يتفصد عرقه على جبهته ورأسه الأصلع :

- سمر ! لماذا تنامين في فراشي ؟
- إنه سريري ." غطت وجهها بيديها الصغيرتين تبكي".

دفع جسده المخمور للأسفل، مغرقاً جسدها داخل كرشه وساقيه وهو يحاول النهوض.

لم يكن في حالة تسمح له بمباشرة زوجته، فقد أرخى الخمر عصبه في تلك الليلة، روحه المضطربة تزرع خوف فقدها، يتبع هواه دون أن يحاول فهم قلبه .

غادر غرفة ابنته وقد تركز تفكيره على نقطة واحدة، زوجته " أمل " هي سبب وزره :

"غضب تستحقه هذه الماحقة، تنعم بنومها داخل غرفتي !

دفعت يده المعروقة باب غرفته وضرب بكفه على مفتاح الإضاءة الصفراء. متجهاً لزوجةٍ تنتحل النوم.

سحبها بعنف من فراشها إلى الأرض، أراد ركلها بقدمه فركل طرف السرير، يقطر لعابه من شدقيه، يتلبسه الشيطان ما أن يراها وهو في هذه الحالة :

- تطفئين الأنوار ! تحاولين إهانتي ؟!

لم تشعر بألم كتفها أثر سقوطها، رفعت رأسها تنظر إليه تتقي غثاءه كأنها وزغ مذعور.لم تعتد ضربه لها، لاحظت ازدياد توتره في الفترة الأخيرة، مع مرور الوقت تزداد الفجوة بينهما بشكل غير منتظر !

بدأ يدور حول نفسه، يتطاير منه الشرر دون أن يتمكن من التقاط فكرة واضحة لغضبه، أفكاره مشوشة، لم يعد قادراً على اصطياد تهم تروي سخطه .

جلس على طرف السرير منهكاً، وما أن وقع رأسه على الوسادة حتى غط في نوم عميق، اندلق لعابه، وارتفع شخيره خلال دقائق .

زحفت تجر ألمها، أسندت يدها على دولاب الملابس القريب ونهضت باتجاه الثلاجة الصغيرة في طرف الغرفة، تناولت علبة الحبوب المسكنة، لم يبق سوى حبة واحدة، تنهدت :

- لم يمض أسبوع على اقتنائه، في المرة القادمة أشتري أكثر من علبة .

رافقتها الحبوب المسكنة منذ وعت حقيقة اختلافها الكامل معه، لم يقبلها كفكر يجدل معه أيامهما المبعثرة، باتت سعادته في انتصاره عليها. يشوش أي فكرة تشعرها أنها الأفضل، عدم قدرته على التواصل مع ذاته خلق داخله حنقاً يصطدم بمن حوله، يموه دائماً هذه الحقيقة خشية أن تهجره .

تقدم يطلب يدها من عائلتها دون معرفة سابقة، دراسته في الخارج سترت عيوبه، ظنت أمل أن دراسته في لندن ستضيف له مزيداً من الوعي الحر ويقبلها شريكة لحياته دون أن يمارس عليها سلطة أو ولاية، لم يحرص على محادثتها خلال فترة عقد القران. بعد زواجها منه اكتشفت أن دراسته في الخارج عزلته عن تطور وتغيير حدث في مجتمعهم المحلي، كقبول المرأة بشكل أفضل بعد إثبات جدارتها في الدراسة الجامعية، وتغير الأدوار في المجتمع بعد دخول العمالة الأجنبية كالخادمة والسائق في خدمة أكثر المنازل .

خبراتها عند والديها لم تتعد الجامعة مع رفيقات يعشن الأدوار المحدودة نفسها، وتلفزيون يبث قناة سعودية فقط قبل أن تثور تقنية الاتصالات وتدخل خدمة الانترنت للمنازل، لبنتها الغضة لم تسعفها على اتخاذ قرار حاسم منذ البداية ، أو بالأصح انفجرت مشاعر غضبها خلال سنتهما الأولى، حصل طلاق بينما هو في حالة سكر، حين دعتها صديقتها "حصة " لمنزلها بعد العشاء مع مجموعة من الرفيقات، قام راشد بإيصالها وقبل أن تنزل من سيارته نظر بعينيه المنفوختين لساقيها وقد انزاحت العباءة عن قدها الرشيق خلال جلوسها، لم يعتد المجتمع في ذلك الوقت الرداء القصير، بينما أعطت أمل نفسها هذه الصلاحية بعد زواجها، فاجأها راشد :

- ألا تملكين رداء يستر ساقيك !؟ "

لم تألف مشاعرها القسوة بعد، لذا لم تحر رداً يعبر عنها، بل نزلت من السيارة تشعر بثقل أكتافها. عاد راشد للمنزل يسكب خمراً معبأ في قنينة بلاستيكية بحجم ثلاثة لترات، يختاره لرخص ثمنه وسهولة الحصول عليه، صنع بطريقة محلية.

ينظر للساعة منذ بدأ الكأس الأول، يحسب الوقت الطويل في انتظارها، لم ينم عقله الوجداني بصورة متوازنة تعينه على جذب الأصدقاء، نفر منه الجميع، لم يبق

سـواها، يـذيب فيهـا كـدر الوقـت. رن الهـاتف تـدعوه لاصطحابها إلى المنزل .

مـا أن سمعـت أمـل جـرس البـاب اللحـوح حتـى اتـسعت حدقتاها وانتصبت من مقعدها :

- راشد .

أسـرعت حـصة بـساقين كـساقي الجـرادة تخبـئ عبـاءة أمل خلف ظهرها :

- خير ! ماانت طالعة قبل الساعه ثنعش .

- عطيني عبايتي فكينا من ذا القلق لا يقلب بيتكم .

لم تدرك حصة وسـط ضحك المدعوات الأربـع تـوتر أمل حتى أطبق الصمت من دوي طرق عنيف على الباب .

اصـفرت الوجـوه وارتعـدت، ترتجـف سـاقا أمـل وهـي تمسك بيد صديقتها متجهتين للباب عبر السور الخـارجي، يفصل بينه وبين الباب الداخلي بضع خطوات، للتأكـد مـن الطارق :

- افتحي " صوت راشد الجهوري " .

- زوجي ." تغص الحروف في حلقها" .

ألقـت غطاءهـا علـى وجههـا ، فتحـت البـاب وهـي تـودع صديقتها تهم بـالخروج، إلا أنـه انـدفع للـداخل بعـد أن ألقـى عليها نظرة فاحصة وقد بدأ الخمر يرخي شدقيه :

- مصحية الليل مع مين !؟
- راشد لا تفضحنا مافيه إلا بنات !
وقفت " حصة " خلف " أمل " تنظر لزوج صديقتها مسرعاً لمجلس الضيوف، وصلهم صراخ الفتيات من الداخل، خرج بوجه جف ماؤه، يحفر الأرض بعينيه قبل قدميه متجهاً لسيارته .
سحبتها " حصة " :
- لا تروحين مع هالمجنون.
- لا تخافي، ما بقى من العاصفة شي .
لم تقبل توسلات صديقتها في البقاء، صعدت السيارة والعار ينهش قلبها :
- فشلتني، نَاسِف ثوبك وداخل على البنات لا حيا ولا خجل .
- بتأكد من كنت معه. "بصوت حازم وهو يلف السيارة بسرعة عبر شوارع الحي "
- تشك فيني! لهالدرجة وصلت دناءتك؟ ماعاد أقدر أتحمل خلاص، طلقني.. طلقني. انهارت تبكي لا تطيق رفقته لحظة .
- تقاذفا التهم طوال الطريق، تتسع الغربة بينهما، أوقفها عند منزل أختها الكبرى "شريفة "القريب من منزلهما :
- انزلي من سيارتي وأنت طالق .

عاد لشقته وإشارات نبضه تنطلق لرأسه بقوة كطلقات رصاص، تائهاً وسط جلبة داخله، سقط أمام باب شقته فاقداً وعيه .

ظل على هذه الحالة دون أن يراه أحد حتى أفاق قبل النداء لصلاة الفجر.. عادت المشاهد صاخبة في رأسه، لا يصدق أنه طلقها، أخذ يجمع غترته وعقاله ويعدل طاقيته وينفض الغبار عن ثوبه الأبيض متوجهاً بسرعة لسيارته عائداً إليها .

فتح ناصر زوج شقيقتها " شريفة " الباب، يتضح على وجهه أثر النوم مستنكراً حضور راشد، جسده العريض يسد ما خلفه وراشد يمد نظره للداخل، يلف " شماغه" حول أطراف وجهه، يتوسل إليه أن يسمح له بمحادثة " أمل". لم يرغب ناصر في التدخل في طرده أو سؤاله عما حدث، أدخله مجلس الرجال دون ترحيب .

كلمة " طالق " أوقفت مشاعرأمل،لم تبك ولم تتحدث، أجابت استنكار عيني شقيقتها شريفة من حضورها قبل منتصف الليل بكلمة واحدة أوقفت التساؤل:

- طَلَقَني .

بينما أمل تجلس في غرفة استقبال النساء داخل منزل شقيقتها متقوقعة في زاوية المقعد، يتسلل إليها نور أعمدة إضاءة الشارع عبر نافذة خلفها، تحت قدميها فراش أعدته

شقيقتها للنوم، فوجئت بالأنوار تضاء يتبعها صوت شريفة تناديها بقلق وهي تلتفت خلفها بقلق :

- أمل، حضر راشد، يبدو نادماً يريد محادثتك .

رفعت رأسها بشموخ ونظرت للجهة الأخرى لا تستسيغ سيرته . إلا أنه بدأ يناديها : " أمل .. أمل". يطلب من شقيقتها فسح المجال لدخول الغرفة. هربت شريفة للمطبخ وتركت أمل يرجف قلبها لا تدري هل هو خوف أم غضب أم شيء آخر ..

قبل أن تتمكن من إنزال ساقيها من المقعد اندفع إليها باكياً راكعاً على ركبتيه يقبل يديها يرجوها أن تغفر له، وتعود معه للمنزل .

ظلت على جمودها، يقينها مكبوت داخلها، كأن هذا اليقين كائن غريب يتصف بالعداء، تفضل درءه عن العيون وعنها .

- أنا آسف.. أنا مخطئ، أعدك لن يتكرر ذلك، سامحيني"أمل" أرجوك، أحبك لا يمكنني تركك أبداً .

ظلت كدمية يقبل يديها دون أن يجرأ على تجاوز ذلك أمام سكونها المريب. أطلت عليها شقيقتها تلتحف غلاله صلاة من القطن الشفاف الأبيض، تدنيه على جسدها البدين :

- أمل هل أنت بخير ؟

لم تجبها أو تغير حركتها ، تقدمت شريفة ما أن رأت أختها كالمقيدة، يمسك راشد يديها ويسند رأسه على ركبتيها ورائحة جسده المخمور تعج في الغرفة، مدت شريفة يدها تساعدها على التخلص من انهياره أمامها :

- تعالي معي، راشد اذهب الآن، دعها تفكر وترد عليك فيما بعد .

- لا ، تعالي معي أمل "يمسك بيد وشقيقتها تشدها للنهوض بيدها الأخرى" .

ألقى على شريفة نظرة كره مما أخافها :

- ليس أنت من يقرر.

ودت لو تحمل شقيقتها وتهرب، أنجدها صوت زوجها " يتنحنح " إشارة السماح له بالدخول، أدخلت أختها معها تحت شرشف الصلاة كشرنقتين :

- تعال ناصر، تعال أرجوك.

انكمش راشد وأدنى نظره للأرض عند دخول ناصر، احتوت شريفة أختها بذراعيها ومضتا مسرعتين .



خبر طلاقها حجر أصاب عائلتها !

لم تتمكن والدتها من فهم مشكلتها والتواصل معها لأن أمل لم تفهم مدى حقها في اتخاذ القرار المناسب. رأسها متخم بأفكار والدتها وأخواتها المتزوجات !

نصحتها بالعودة وإنجاب الأطفال لتتابع سنة الكون، فكل شيء يتغير للأفضل ما أن يصبح أباً.

لم يرسل راشد ورقة طلاقها، ينتظر عودتها كل يوم .. يتواصل مع والدتها عبر الهاتف بوعود باذخة لحياة أفضل مع ابنتها دون أن تقبل أمل التحدث معه .

توالت أحكام مصادرتها كمطلقة في منزل والدتها الذي فرغ بعد أن كان ممتلئاً بإخوتها، خمس بنات هي السادسة، وثلاثة أولاد أكبرهم عبدالعزيز، تزوجوا جميعاً عدى آخر العنقود صالح تسبقه أمل بسنتين من عمرها، بعد تخرجه من الثانوية لم يقبل في الجامعة، مع استمرار تعثره بين وظائف ودورات ومعاهد لم يكمل في أي منها .

تتذكر وقفتها أمام المرآة وصباها يغرد في لباسها الفتي، بنطلون جينز مع قميص وردي بأكمام قصيرة، تستعد للذهاب إلى منزل صديقتها حصة، رشت عطرها المفضل وأخوها صالح يستعجلها أسفل السلالم، حملت حقيبتها ونزلت بسرعة لتفاجأ بوالدتها تنتظرها في أحد مقاعد صالة الجلوس وعباءتها تتدلى على ساقيها :

- تنوين الذهاب بصحبتي ؟ أمي لم يكن زوجي راشد يمنعني من زيارة صديقاتي بمفردي !

- الأعين عليك وكلام الناس لا يرحم .

- ماذا فعلت ؟ الطلاق حل أخير لمشكلة لا تنتهي، إنه بداية جديدة أمي .

لوت والدتها شفتيها وأدارت رأسها بعيداً تصر على رأيها، تتدلى جديلتها السوداء السميكة على ظهرها المشدود، من يشاهد طاقتها وصلابتها لا يصدق أنها تحافظ على قوتها بعد إنجاب هذا العدد الوافر من الأبناء، تزوجت في سن الثانية عشرة وبدأت الإنجاب في الرابعة عشرة من عمرها.

- كيف تذهبين أمي لمنزل لم تتم دعوتك له، لا يوجد سوى صديقات في عمري، ماذا تفعلين بيننا !

- انتهينا، مرافقتي لك شرط خروجك لأي مكان .

يطول الحوار أم يقصر فقد اتخذت والدتها القرار مسبقاً. شعرت أمل بذاتها لزجة تنزلق في أعماق سحيقة :

- لن أذهب .

اتجهت لغرفتها في زاوية المنزل العلوية، نزعت رداءها، لبست أول قميص نوم لمسته يدها في رف الملابس، مخطط بالأزرق والأخضر والسكري مع بنطلون من القطن الوردي مطبوع بورود بيضاء !

غسلت وجهها بالصابون دون اللجوء لمحلول تنظيف البشرة الخاص أو وضع كريم المساء كعادتها دائماً. كأن مدينتها المحمية داخلها أطفأت أنوارها.

تمر الأيام على مهل تتكاثر الأمنيات بين ساعاتها الطوال. بدأت والدتها تحاصرها بفروض يومية، تصوم عن الطعام تنتظر استيقاظ أمل لتشاركها إفطارها، ما أن تسمع صوت نزولها من السلالم حتى تفرش سفرة الإفطار، فول وبيض مسلوق مع أطباق جبن أبيض وعسل وآخر للزيتون، اعتادتا غياب صالح في النوم أو الخروج، مع استمرار الحصار على أمل :

- أمي الساعة الحادية عشرة لم تفطري حتى الآن !
- فكرت أن أكمل يومي بالصيام. " وهي ممتعضة" .
- لن أتناول إفطاري إن وجدتك تنتظريني مرة أخرى .

اكتنز الدم في وجه والدتها وبدأت عيناها تزوغان كمن سيغمى عليها بشكل أرعبت " أمل " فبدأت تبكي وتدفع الأطباق أمامها :

- لا أحب البيض ولا الفول لن أتناوله بعد اليوم، اتركيني بسلام، لو كنت في السجن لوجدت من يرأف بحالي .

تقلدت والدتها دور الهزيمة بطريقة لم تصل قلب أمل التي واصلت استنكارها:

- ماذا تظنين ؟ ترافقيني في كل خطوة، تراقبين أوقاتي وتفرضين الواجبات حتى في طعامي، لو أردت هرباً أو فسوقاً لن يمكنك منعي !

- كلام الناس يا أمل .

- لن ينتهي كلام الناس حتى لو تزوجت وأصبحت جدة، يملؤون أوقاتهم الفارغة، يتسلقون آلام الآخرين يبحثون عن رضا لحظة تزيدهم غرقاً.

- عودي إلى بيتك أمل، راشد يحبك ويعد أن تعيشي حياتك كما تحبين. صدقيني لن يشفيك الوقت برجل أفضل .

- تهدرين عزمي ؟ بخطى لا تتغير. "وهي تغادر المكان "

يمضي الوقت وليلها يهذي بكدر لا يتوقف، يقاومه بريق أمل يلوح دون أن تحدد ملامحه !

لم تتقطع حصة عن الاتصال بها كما فعلت بقية الصديقات، تطل والدة أمل عليهما كل حين وهما في مجلس الضيوف:

- أشعر أن والدتك ملت من زياراتي المتكررة .

- " حصة"، والدتي تتمنى أن تطويني في خرقة بالية تتخلص منها كعار يقف أمام هنائها .

- كيف تظنين ذلك في والدتك ؟!

- أخواتي الخمس متزوجات يملأن عليها الوقت، لم تعد تحتمل عنادي وكلام الناس .

- الزوج عتقك الوحيد من أغلال تزيد كل يوم، لن يؤويك مجتمع فرض قيوده .

- حتى أنت ؟ لن ألوم أمي، كل ما تطمح له رضا وثناء من أناس لن يذكروها بعد ذلك !

- كيف تفكرين ؟ ماذا تنتظرين ؟ رجل معافى يفلت من عش الدبابير!

- لن أنتظر أي رجل، عندما أكمل فصولي، هو من يجدني .

ضحكت حصة ساخرة :

- تأثير الأفلام العربية واضح، ولا تبين واحد مثل حبيب قلبك "خوليو اجليسياس" .

تنهدت بوله: " آه ظنك فيه مثله"؟

ينسج الوقت العفن، كل ينصح بعودتها، تقدم لخطبتها أفراد متزوجون واثنين لم يتزوجا بعد ما أن علموا بانفصالها دون أن تقبل حتى التفكير في الموافقة، كيف تنخدع بمظهر رجل لا تعرفه، تقدم له نفسها وهي لم تشف بعد من تجربة لم يمض عليها غيرأشهر قليلة.



ذكرى مكوثها كتميمة معلقة في منزل والدتها لا تنجلي، بدأت الآلام تنزف تباعاً يحتضنها مقعدها المفضل في صالتها العلوية بوجد لا يمل، كأنما تبحث عن سبب انطفائها منذ أكثر من خمس عشرة سنة !

وتداعيات سنة زواجها الأولى تتوالى، تتذكر ليلة استعدادها لحضور زواج أخت صديقتها "حصة" في قاعة احتفالات أحد الفنادق .

بدأ راشد يلبس ثوبه الجديد يزاحمها حول المرآة لتعديل " غترته " :

- أنا مدعو على العشاء هذه الليلة، لا تفكري بالذهاب مع سائق والدتك !

- أخبرتك منذ أسبوع عن رغبتي لحضور الزواج، تعرف أني استعد لهذه المناسبة منذ أيام لماذا تفاجئني بقرارك الآن، سائق والدتي يوصلني للجامعة دون شبهة قبل زواجي منك .

- لم تعودي في ولاية أهلك الآن ." يوليها ظهره متجهاً للخارج ".

أثقلت لفافات الرول رأسها تلك اللحظة :

- انتظر لا تتركني هكذا !

يوصد الباب دون أن ينظر إليها ، كادت تخرج خلفه تطفئ غضبها بالذهاب .

هاتفت والدتها :

- لا تخرجي دون موافقة زوجك لئلا تلعنك الملائكة .

- أمي هذا ظلم، يذهب للعريدة مع صاحبه الوحيد وأنا أجلس تحت رقابة الملائكة !

- استغفر الله، استغفري ربك، سأستغفر لك آناء الليل .

ارتدت أمل عباءتها بعد أن أكملت زينتها ، رفعت ذيل فستانها الطويل وخرجت من شقتها في حي السليمانية متجهة للشارع الرئيسي .

تشعر بحنق أسكن خوفها من الشوارع المظلمة ، تمشي وحيدة داخل الأزقة الضيقة. وقفت بكامل زينتها بعد أن وصلت الشارع العام. عباءة السهرة المطرزة تلفت الأنظار، السيارات تخفف سرعتها ما أن تصل حولها ، تبرز فتنة قدها خلف العباءة، عيناها الغجريتان تطلان خلف النقاب.

أوقفت سيارة أجرة، سائق باكستاني في الثلاثين كما يبدو من لوحة التعريف المعلقة خلف مقعده .

- فندق ماريوت .

- معلوم وين مكان ؟

- ما تعرفه انت !

- ايوه ايوه معلوم .

- يصب شبق عينيه من مرآة تعكس صورتها ، شعرت بالخوف: " ياليتني ماتعطرت ليه يسألني اعرف المكان ولا

لا ؟ وش ناوي عليه ؟ بيخطفني ؟ نظراته تخوف، ينعم صوته كأن وده يغني !

غطت عينيها بباقي غطاء الرأس، بدأت تصب لعناتها علىْ راشد :

" هو السبب ". تقاوم عبراتها والخوف يملأ ضلوعها :

- وقَف هنا." بصوت عال"

- مايقدر وقف هنا طريق سريع !

- هذا مخرج قريب، نزلني هناك .

أنا معلوم طريق ما فيه خوف ." بصوت رقيق وشعره الكثيف ينزاح مع حركات رأسه ".

زاد التوتر وعلا صوتها :

- قلت لك وقف السيارة بسرعة .

لف مسرعاً وأوقف السيارة ينظر إليها في المرآة بعتب، رمت على المقعد عشرة ريالات وهي تنفذ بجلدها خارج سيارته. بادرها خوف جديد، تقف على الرصيف خلفها محلات خياطة يملؤها عمال أجانب من الهند وباكستان وبنجلادش ينظرون إليها يتبادلون النكت والتعليقات كأنها قماش ينفض على طاولة الخياطة.

لم يكن لديها وسيلة اتصال، خدمة الجوال لم تنزل في البلاد بعد. اتجهت نحو خياط لم يقلقها بنظراته تسحب

فستانها وتشد عباءتها، تعدل غطاء وجهها وتثبت حقيبة السهرة في يدها الأخرى:

- هل يمكنني استخدام التلفون لو سمحت ؟

قدم لها الهاتف دون إيحاء يريكها، هاتفت والدتها وأخبرتها عن مكانها لترسل السائق .

حضرت والدتها مع السائق خلال وقت قصير، أمضت الطريق تؤنبها وهي تعيدها لمنزلها :

لن أعود للمنزل، إن أعدتني سوف أخرج مع سائق أجرة ربما يعتدي علي ويرميني للهلاك حتى أخلص من هذه الحياة .

لم تجد محاولات والدتها في إقناعها من غضب الزوج وعاقبته الوخيمة على استقرارها وسعادتها طوال العمر، اضطرت أن توصلها إلى موقع الحفل وهي تصب عليها وابل غضبها :

- حسبي الله عليك بنت، بتموتيني ناقصة عمر .

دخلت أمل قاعة احتفال تدعو للفرح، طاولات مزينة بمفارش لونها سكري عليها ورود الجوري واللوتس، يعج المكان برائحة العطور، رغم فستان ارتخى على جسدها بلون البنفسج أضاف إليها مزيداً من الحسن، وشعر يلاطف وجنتها برقة وينسل على كتفها العاري. لم تلق لصهيل

العيون بالاً وهي منغمسة في قلقها تحذيرات والدتها تدوي داخل راسها دون أن تتزاح غمتها، لا تدري ماذا ينتظرها بعد أن تعيدها والدتها الساعة الثانية عشرة للمنزل. الكل يرقص بطرب على صوت مزنة مغنية الفرقة وطق الطبول يصدح في المكان، الصديقات يتبخترن في فساتينهن الطويلة، يتبادلن الضحكات يدعينها للضحك ثم ينسحبن من مجالستها بعد أن انقطع تواصلها عن كل شيء سوى النظر لساعة يدها بقلق وقد اختارت الجلوس في أحد المقاعد المصفوفة حول ممر العروس وسط القاعة حتى حان موعد المغادرة :

- لا يمكن ذلك سوف تزف العروس بعد قليل !.
- سأخبرك غداً " حصة " كيف حضرت إلى هنا وستعذرينني بالتأكيد .
- أخبريني الآن .
- لا ، الغد أفضل " خذي حقنا إحنا الثنتين من السهرة " .

قالت ذلك وهي تضحك لتوقف أي مواء قلق يفسد ليلة صديقتها المقربة .

لم تتركها والدتها بسلام، طوال الطريق تحذرها مما يمر به الآبقون حتى يتوبوا !

دخلت شقتها يفزعها منظر سيارة زوجها في مواقف العمارة المكونة من دورين بعد أن غرست فيها والدتها الذنب .

حمدت الله وأنوار الشقة في الدور الأرضي تدل على البيات عدى نور اباجورة خفيف آخر الممر .

خلعت عباءتها وحذاءها العالي، أمسكت العباءة والحقيبة في يد، والحذاء يتدلى من اليد الأخرى .

تمشي بحذر على سيراميك الممر المؤدي لصالة الجلوس. عيناها تنظران لمدخل الغرفتين أمامها. إحداهما غرفة النوم والأخرى لكي الملابس، يفصل بينهما حمام . قررت تبديل ملابسها في غرفة الملابس ثم الدخول بحذر لغرفة النوم. هوى قلبها من صوته المصبوغ بالتهم :

- الحمد لله على السلامة !
- أخفتني . " قالت بارتباك " .
- بالطبع تخافين، أين ذهبت ومع من حضرت ؟
- تعرف أني مدعوة لزواج ألم تشاهد بطاقة الدعوة ؟
- كيف ذهبت ومن أحضرك ؟ " بتهكم يحمل كثير من النوايا".

انسلخ خوفها وظهرت روح التحدي لديها :

ماذا تعني ؟ ذهبت مع صديق وأعادني آخر !

انتصب واقفاً بثوبه الأبيض وقد خلع شماغه، تراجعت خطوة للخلف لا تدري أين يأخذها غضبه، اقترب منها حتى كاد يلتصق بها، ينظر لعينيها، لا يزال جسده محافظاً

على اعتدال وزنه في تلك السنة، تفوح منه رائحة العطر على غير العادة، أمسك بكتفها العاري :

- مع من ذهبت ؟

أجابت بسرعة للفكاك من حصاره :

- أوصلتني والدتي وأعادتني للمنزل .. اسألها إن كنت لا تصدقني .

لم تكد تنهي عبارتها حتى هجم عليها يقبلها، دفعها على المقعد المخصص لثلاثة أشخاص خلفها، وبدأ بنزع فستانها الحريري دون حذر، لم تتمكن من رده رغم تقززها، تشعر كأنه يعتدي عليها، ترجوه أن يمهلها بعض الوقت، لم ينفك عن غمس شفتيه وهدر لعابه على جسدها حتى انفصلت عنه هاربة لعالم خيال بين أحضان المغني الأسباني "خوليو اجليسياس" !

اعتاد مقعدها في صالة منزلها العلوية احتواء شجنها وذاكرتها تعود لعام تعيينها كمعلمة للمرحلة الابتدائية قبل عودتها لزوجها راشد .

نهضت روحها المحبطة تبني الأمل من جديد رغم تعيينها في منطقة تقع أقصى الرياض من الجهة الغربية، صحبتها والدتها في مواعيد صالون التجميل، تقص خصلات شعرها الطويل، ترتب أظافرها استعداداً ليوم مباشرتها الأول للعمل، تنشر والدتها حولها الحذر:

- جمالك فتنة وأنت مطلقة !

لم تتركها والدتها بسلام تضيق عليها أوقات السكينة، لا يبتسم لها سوى عاملات صالون التجميل .

ظنت أن الذهاب للعمل في المدرسة يقلص مساحات الاغتراب مع الذات، تفكر بصفاء وإيمان وثقة جلية، ليلة تنتظر شروقها مع خطوتها الأولى ليقين يتلو وعوده !

ارتدت تنورة سوداء طويلة كما هو مقرر في رداء المعلمات لا تتجاوز الألوان القاتمة " بني ، أزرق، أسود " مع قميص أبيض بأكمام طويلة، تألقت رغم عدم كفايتها من النوم، يملؤها الشوق ليومها الجديد .

وافق أخوها صالح على إيصالها بسيارته في اليوم الأول لعدم معرفتها بالمنطقة، سارت السيارة على طريق خريص حتى وصلت المنطقة، ظنت أنها خارج الرياض رغم مباني جديدة إلا أنه لا يبدو عليها لمسات مباني الأحياء الحديثة، شوارعها ضيقة، الجهة الغربية يسكنها سعوديون من طبقات متوسطة يبدأ الحال في التدني كلما اتجهنا للجهات الشرقية، في آخر الحي بيوت من الخشب وأطفال يبدو أنهم لم يتعرفوا على الصابون في يوم، يركضون بصحبة ماعز تحميها الكلاب :

- تدرين أمل ان هذي منطقة تجمع عصابات المخدرات .

- بسم الله، لا يكون مدرستي فيها ؟

- شكل مدرستك هناك لازم تنقلين بسرعة." محاولاً اخافتها باستمتاع، أكمل يحذرها بصوت جاد :

- لو سمعت اطلاق نار نزلي راسك .

- تحاول تخوفني اعرف ." وهي تنزل رأسها مذعورة".

في أطراف الحي تسكن عائلات من دول محيطة بعضها هارب من الأنظمة وبعضهم لا يملكون بطاقات تثبت الهوية، أومن السعوديين ذوي الدخل المتدني، صعوبة المعيشة ساهمت في تدني المستوى الأخلاقي لدى بعضهم :

- يوجد فندق يستغل عوز بعض العائلات التي تتجه إليه لتزوج بناتها بمبلغ بسيط لمن يرغب ، قد يطلقها بعد فترة قليلة ثم تزجها عائلتها في زواج آخر لجني المال.بعضهن لم يكملن الخامسة عشرة بعد.

- صالح ، كيف عرفت هذه التفاصيل ؟

- الكل يعرف، انت اللي غاطسة في البيت ماتدرين عن شي .

هناك جهات يقطنها بعض البدو، تجوبها الماشية في بعض جهاتها، كالماعز والخراف وأطفال دون الخامسة يركضون في الشوارع كأنهم في ملعب خارجي دون أحذية، تخرج من أحد المنازل بدوية تلف عباءتها حول وركها الرفيع تحمل حافظة معدنية مليئة بالحليب، وتشد بيدها الأخرى طفلاً عنيداً داخل المنزل. لا يوجد دلائل للأحياء وأسماء الشوارع في ذلك الزمن، أوقف صالح السيارة ليسأل طفلاً يبدو في السابعة من عمره، وأمل تستنكر تصرف أخيها :

- تسأل طفل عن مكان مدرسة !

- تلاقينه يعرف أكثر مني ومنك."فتح نافذة السيارة وسأله عن أقرب مدرسة ابتدائية، وقف الطفل بثبات ورغبة جامحة للمساعدة وقال بصوت واثق وهو يؤشر بيده :

- من هنا سيده ثم لف يمين، عانها على يدك اليمين .

شكره صالح وأغلق النافذة، ينظر لأخته بطرف عين وضحكته تزيد وسامته: " باين عليه تكانة ".

تمكنت من الوصول أخيراً وحمدت الله أن مدرستها في طرف حي غربي يبدو عليه السلام. دخلت بناية المدرسة الابتدائية، أمامها سور واسع أضيفت له فصول مسقوفة بألواح " الشينكو "لكثرة عدد الطالبات، كادت تتعثر بعد أن هوى حذاؤها العالي مكان بلاطة منزوعة قد يقع في مصيدتها من لم يتخذ حذره عند المشي .

استقبلتها مديرة المدرسة تربط شعرها الخفيف بعد أن أحاله الحناء إلى لون أحمر، في غرفة تكاد تغص بمكتبها الكبير ومكتب أصغر للمساعدة على الجانب الأيمن مع كنبات بجلد اسود مستهلك. ما أن جلست أمل عليه حتى غاصت في أعماقه :

- ستكونين معلمة للرياضيات للمراحل الأولى .

فوجئت أمل، قالت باستنكار :

- تخصصي علم نفس بعيد كل البعد عن الرياضيات !

- "تحملينا حد ما ننشئ منهج جديد لتخصصك ! "سخرية أسقطت أمل على صخرة الواقع".

- على الأقل مواد العربي أو الدين وليس تخصصاً علمياً.

- هذا ما نحتاجه في هذه المدرسة، إن لم ينل إعجابك اذهبي لمركز الإشراف.

- ألا يمكن أن أقوم بدور أخصائية اجتماعية ؟

- لدينا واحدة تكفي، معلمة الرياضيات هو ما نحتاجه الآن !

ذهبت لمركز الإشراف وجدت نسخة أخرى من كيان مضطرب، موظفات يصطدمن في مساحة لا يمكنهن تجاوزها داخل مبنى قديم، أمام نظام صارم يستنزف وقتهن لإمضاء خطابات تمنع أي مبدعة من إيقاظ فريقها الراكن في نفسها المحبطة !

دخلت على فصل السنة الثانية الابتدائي، غرفة مساحتها أربعة في خمسة أمتار، جهاز تكييف وحيد يقاوم درجة حرارة تتعدى خمساً وأربعين درجة مئوية، لا تتمكن حدقتاها من استيعاب خمس وخمسين فتاة يغمرن الصف بأجسادهن الصغيرة ولباسهن الرمادي، تتدلى الشرائط البيضاء على جدائلهن السوداء، رتبت الكراسي والطاولات بشكل معجز، صف الطاولات الأخير متراص دون معبر، يقفزن الفتيات في حالة حاجتهن للخروج.

غيرت خطة أعدتها لتتعرف على أسماء الطالبات واكتفت بالتعريف بنفسها، أمامها منهج طويل ووقت لا يحمل التفاوض :

- أنا مدرسة الرياضيات الجديدة، اسمي أبلة" أمل" .

نظرت باتجاه صوت خرفشة قرطاس من الجهة اليسرى للفصل قبل أن تتم حديثها، التفتت لتجد ثلاث فتيات يتقاسمن بطاطس مقرمش واثنتين تقفان خلفهما تمدان رأسيهما على أمل الحصول على حصتيهما من البطاطس .

نهضت اليوم التالي تباشر عملها كبعوضة وسط شبكة عنكبوت .



احتشدت العائلة بتراص مهيب بعد أن وعدوا راشد بعقد تفاوض أخير مع أمل لإقناعها بالعودة إلى منزلها معه، والرد عليه اليوم التالي شعرت بحضورهم كقنينة ماء تسكب على شفة بركان، مرت أمامها أختها " منى " تكبرها بسنة واحدة متجهة لمقعدها في المجلس دون أن تنظر إليها أو تتواصل معها في مشكلتها منذ خبر طلاقها، لا تلتقي موجات الحوار معها .

مما دعا مشهداً قديماً لذاكرة أمل من أيام الطفولة، سرحت عيناها تتذكر دخول أختها منى وهي في التاسعة من عمرها، ترفع قامتها كأميرة يمسح أمامها الحراس العوائق، شعرها الكثيف مربوط بشريط أحمر كذيل حصان، ترتدي قميص قطني طويل مطبوع على صدره وردة كبيرة .

تجلس إلى جانب والدتها بشموخ على الأرض ووالدتها تسكب القهوة لوالدها قبل صلاة المغرب في المجلس العربي بمسانده المخملية الحمراء، أمل تكتنف الصمت منزوية في الجانب الآخر من الغرفة، شدت منى كم قميص والدتها الطويل لتعيرها الاهتمام :

- " المعلمة اليوم مدحتني كثير لأني أحفظ سورة الضحى من السنة الماضية، راح أقرأها عليكم ".

برقت عينا والدها تشجعانها، وبدأت تقرأ غير عابئة بأخطائها الكثيرة أمام إنصات والديها .

تعاركت قوى التقدم والإباء داخل أمل، كانت تحفظ جزء عم من القرآن بتفوق ملحوظ، لم يكن يعرف بذلك سوى معلمتها وصديقاتها في المدرسة .

تدفق عزمها أخيراً ووالدتها توشك على حمل صينية القهوة. تقدمت بخجل وصوت يكاد يسمع :

- أمي احفظ سورة " التكوير" اتلوها عليكم ؟

دفعتها والدتها وهي تضحك وتنظر لزوجها :

- " تغار من أختها، تبي تقلدها ".

نظر إليها والدها مبتسماً، ونهض مستجيباً لنداء أذان المغرب دون أن يلقي عليها كلمة واحدة .

خلت الغرفة منهم جميعاً سواها تجلس على ركبتيها، تضم يديها في حجرها.

توقف شريط ذكرياتها على صوت نداء والدتها :

- أمل تعالي خوانك ينتظرونك، وانت جالسة لحالك في الصالة !

ترأس الاجتماع أخوها الكبير عبدالعزيز، شماغه المنشى يجذب العيون، أضاف جسده العريض وقامته الطويلة مزيداً من الهيبة خلال الجلسة المنعقدة في مجلس ضيوف يطوقه كنب كلاسيك مذهب الأطراف داخل منزل والدتها :

- أمل، الحياة ليست مجرد أوقات جميلة، إنها شبكة معقدة نناضل جميعاً لتجاوزها، أنت هربت منذ المواجهة الأولى، يجب أن تعرفي أن المرأة في مجتمعنا ليست كما تشاهدين في الأفلام أو تقرئين في القصص! لا تنسي أن زوجك يؤمن لك السكن والأمن داخل عالم كبير .

أزاحت جسدها على طرف مقعدها، تتداعى روحها على شفاه تتحدث :

- عبدالعزيز، كيف أشعر بالاستقرار، يعطي نفسه الحق كاملاً في أي ممارسة أوسلوك مع زوجة لا يقبلها كما هي أو يحاول فهمها، لا يبدي أي محاولة لتقريب وجهات النظر، يظل يقرر كما يشاء، يسحبني بقوة وعنف، يحاول صهري داخل شخصيته .

نظرت إليها شريفة برحمة وقالت بيقين :

- لا يمكنه أن ينسل من ثقافة الرجل داخله، أسندت إليه جميع المهام، كيف تطلبين منه مشاركتك في الرأي داخل مجتمع لا يمنحك سوى دور الأم داخل منزلها !

- أنا موظفة الآن، يجب أن يكون لدي حقوق كاملة مثله تماماً .

ابتسم عبدالعزيز ساخراً :

- دليني على حقوق تحسدينا عليها .

- يمكنك متابعة مشاريعك وطموحاتك، تقود السيارة، تراجع المكاتب والمؤسسات، تقرر السفر .. تقرر مصيرك كإنسان. أنا لا أنظر لكل هذا، ولن أطمح إليه الآن، لكن راشد لا يسمح لي بممارسة حياتي الطبيعية حتى في زيارة الصديقات إلا بعد أن أمر بجلسات محاسبة ومحاكمة.. ربما عقاب ! حتى لو تجرأت على السهر وحدي داخل المنزل، أفاجأ به يقفل الأنوار ويدعوني للفراش !

- هذا مجرد قلق سببه حبه لك، ربما يخايله توترك أو عدم قبولك، يحاول بشتى الطرق أن يقربك منه. أشعريه بالطمأنينة والحب ويكون كما تريدين .

- أنا أيضاً أحتاج رجلاً يشعرني بالطمأنينة، يجب أن يتذكر أني زوجته ولست والدته !

تدخل صوت أختها منى يخرج بثقة ويجبرهم على الصمت والاستماع :

- لكل رجل طريقةٌ للوصول إليه وجعله كما تريدين، لا يجيد ذلك سوى المرأة الذكية .

- ذكاؤك البارع لم أصل إليه بعد ! " أمل بحنق "

تدخلت والدتهما تنظر لأمل بحسرة :

- لم تقصد " منى " السوء ، يجب أن تجني الفائدة من خبرات أخواتك الكبار .

واصلت منى حديثها دون اعتبار لحنق أمل :

- تملك المرأة كنزاً ثميناً وعشقاً أبدياً لا يصل إليه الرجل، أطفالها، الرجل له دور في حياتك نعم، لكن لو فطنت لأمرك لوجدت أنك تولينه كل الأدوار! دعيه وشأنه، كل ما ينتظره منك القبول وتنفيذ واجباته، تهيئة مكانه وردائه ووجباته وفراشه، إنه شريك يعينك على بناء عائلة تهبك السعادة، إياك أن تنتظري سعادتك منه فقط ..

- " هه" أمل بسخرية." وبعد أن يكبر الأبناء ويتوزعوا في أدوار الحياة ماذا أفعل مع هذا الشريك ؟"

- كيف ماذا تفعلين ! نجاحهم وسعادتهم مقياس فرحك حينها ." منى بامتعاض ".

ردت أمل باستنكار :

- نعم سوف أمضي حياتي في مدرج انتظار الفرح !

تدخل عبدالعزيز ناشراً هيبته :

- سعادتك داخل قلبك. أنت من تشكل لوحة حياتها ، يمكن أن تبدعي في رسمها ، أو تنثري فيها السواد. راشد يحبك، لا يمكن أن يؤذيك إن أوليته بعض الاهتمام، لقد وعد بترك الخمر، إن لم يفعل يكن لدينا حديث آخر .

توترت أمل، شعرت بالمكان يخنقها ، ترغم نفسها على تصديق وعود كاذبة لتواصل الحياة، حقيقة اختلافها معه لم يقبلها أحد ، وجود رجل أفضل من راشد مجرد أحلام تمضي مع الوقت كما أخبروها ، الكل يقول أن الرجال سواسية !

تشعر بأن المغامرة والمضي للجديد من طبع البشر، بقاؤها في منزل والدتها يسد أمامها الطرق. قررت أن تعبر المنفذ الوحيد لحياة مختلفة، نهضت تعاند روحها وتلقي قلبها في غور بعيد :

- سأعود مع راشد .

تنهدت أمل كجذر ندي بدأ يجف، عادت لواقع جلستها على مقعد اعتادته في صالتها العلوية منذ شراء منزلهم قبل اثنتي عشرة سنة، أبعدتها هذه الهواجس عن مشهد اقتلاعها من فراشها ورميها على الأرض. قبلت العودة إلى راشد بعد أن سدت في وجهها السبل، بقي على وعد ترك الخمر حتى حبلت بابنتها سمر.

عاود شرب الخمر متسللاً دون مضايقتها، حتى ذابت هيبته لها بعد حملها بابنها فارس، بدأ يحلق في طقوس دنسه ويفترشها أرضاً يطؤها كيفما شاء .

أمامها التلفزيون، عن يمينها مقعد مخصص لجلوس ثلاثة أشخاص بلون ترابي باهت، ويسارها آخر مشابه له. تمد ساقيها تحت طاولة صغيرة مستطيلة في الوسط من الخشب القاتم .

نزل ألمها ثقيلاً على مفاصلها كأنها عجوز هرمة وهي لم تتم التاسعة والثلاثين من عمرها بعد . معادلة بقائها معه معركة قوى تفوق طاقتها، ترغمها على الانتظار !

اعتادت المسكنات كوسيلة لتأجيل الحلول !

يمر الوقت تتلمس دربها وسط أوحال حقول لم تحرث ووعود بترك الخمر والسماح لها بحرية ممارسة أدوارها الاجتماعية والعلمية كما تحب. المعارك الطويلة تجدي أحياناً لتطوير أوضاعهم كإقناعه بضرورة السائق.

في إحدى ليالي الصيف الطويلة فارقها النوم وراشد خارج المنزل يمارس طقوس شرب الخمر، رفعت وسادتها

وأسندت رأسها تعاودها ذكرى معلمة مادة القراءة والأناشيد المصرية "نجاة" أحبتها كثيراً، خصتها بلقب الدكتورة أمل، تقول لها دائماً " لما تكبري حتبئي دكتوره اد الدونيا". هذا الموقف دعا تفاصيل تفوق لامست وجدانها :

" لماذا لا أكمل تعليمي وأحصل على الدكتوراه ؟ "

رغبتها في إكمال دراستها أثار رهبة داخل راشد. الأجواء الراكدة تشعره بأمان أكثر، محاولات التغيير تحيل روحه لاضطراب ينعكس على من حوله :

- بعد مضي عشر سنوات من تخرجك ماذا بقي لك، عن ماذا تبحثين ؟ لقد ثُبت على وظيفة يحلم بها مئات من الشباب الخريجين العاطلين عن العمل !

بدأت مواجهات جديدة بينهما، تراقبهما عينا سمر وفارس متخفيين كقطين مذعورين .

لم تتمكن من الحصول على الدكتوراه وسط أجواء كدر لا تنتهي، بالكاد حصلت على شهادة ماجستير في " صعوبات التعلم ".

تقدمها العلمي مضى بها وحيدة في ظل انغماسه في شرب الخمر ومحاكمتها كل مساء على بعدها عنه .

ربطتها علاقة جيدة مع مديرة المدرسة الثانوية بعد الانتقال لها مؤخراً، تصالحت أرواحهم بوعي جميل أفضت كل منهما بأسرار حياتها للأخرى:

- حصل زوجك على بكالوريوس من جامعة هيثرو وتتهمينه بقلة الوعي !

- الشهادة العلمية ليست دليل وعي .

فاجأها حملها بعد حصولها على الماجستير، تعرف أنها تعيش وسط أجواء غير صحية لتربية طفل جديد. مرت شهور الحمل كئيبة كقيد ثقيل يغرقها. حان وقت الولادة، صرخة مولودتها "لمى" قلبت الموازين، بللت جفاف أيامها، حضن أودعت فيه حنينها المفقود، تشتاق إليها وهي في جادة العمل، بلغت لمى السادسة من عمرها في وقت حسبته أمل لحظة وله طويلة انتشلتها من رتابة كادت تفتك بها.



انسلت عزيمة سمر للمذاكرة، تجلس في زاوية الكنبة تود أن تغوص داخلها تشعر بالقبح، تركس تحت إحباط تعمق بعد موقف اقتحام غرفتها من قبل والدها تلك الليلة، تنظر لشاشة التلفزيون، دون أن تعي ما فيه.

نعتاد مرارة المواقف، تتجانس داخل أنفسنا بصورة نظنها طبيعية، يختلنا موقف يشد جميع الذكريات بخيط واحد يوقعنا في مأزق صعب !

- لم تنامي "سمر" فترة الظهيرة، الساعة الآن السابعة مساء. متى تذاكري مادة الإحياء الوقت يغافلك !

ردت بصوت يكاد يسمع :

- لا أرغب بأي شيء. لا يمكنني فعل أي شـيء. توقفت تماماً .

انتهـت الاختبـارات وتفاجـأ الجميـع بنتائجهـا المتدنيـة في أربع مواد.

تقدم لها مهندس زراعـي، أخ إحـدى صـديقاتها ، وافقت على الزواج منه، ركنت طموحها الكبير بأن تصبح طبيبة أسـنان وتفـتح عيادتها الخاصـة وتنـافس أشـهر العيـادات في مدينة الرياض .

لم تجـد محـاولات والـدتها في منعهـا مـن الـزواج قبـل إكمـال دراسـتها، دعتهـا لأحلامهـا ، داعبتهـا بـذكريات طفولتها وهي تساعدها في اختيار لـون غرفتهـا الوردية. تصر على رأيها في مكان السرير وطريقة ترتيب الغرفة.

- تـذكرين سمـر كيـف أثثنـا معـاً غرفتـك وأنـت في الـسادسة مـن عمـرك، اخـترت لـون الجـدار كنـت تحـبين الفراشات ملأت الجدار بصورها.

- أتـذكر أمـي كيـف ابتكـرت تـصميم أثـاث غـرفتي بنفسك، سـأل عنهـا الجميـع، كنـت تعشقين تـصميم غـرف الأطفال، أين ذهب ذلك الحلم أمي! . " تنظر لوالدتها بطـرف عين".

كانت الآمال تهز خصرها منتشية في قلب أمـل كينبـوع يبذر المنى لتورق أحـلام جديـدة، لا تعـرف كيـف مـضت دون أن تذكرها مجدداً كما تمضي سمر للبعيد الآن !

أغلقت ابنتها حواسها كقنينة تحاصر بثور الأرق، دون أن تجدي المحاولات في إقناعها لإكمال الدراسة قبل الزواج :

- ماذا حصلت من دراستك أمي !

حتى فارس الصامت شارك يدافع عنها وهو يلقي جسده على الأريكة دون أن ينظر لهما يقضم الوقت بتعاطي محطات التلفزيون :

- لا تلحي عليها أمي، هي أدرى بقدراتها ، لن تتمكن من المذاكرة والنجاح ما لم تنو ذلك !

انتظر والدها نتيجة محاورتهم الصاخبة دون أن يجد ثغرة تمكنه من اصطياد نقد يعبر به في نقاشهم كعادته، طريقته في المحاورة تعتمد على نية الفوز بالمحاورة دون أن يقنع نفسه بضرورة قبول الرأي الآخر، تمر قوافل أصواتهم إليه خلال باب غرفة المكتب المشرف على الصالة العلوية.



أوقات استعدادات الزواج تمر مثل حلم تكسره الآمال الطوال :

- سمر حبيبتي مالك تتحدثين عن كل شيء سواه !
- ماذا أقول، حكايات مزيفة ؟
- ماذا عن الحنين، الوله ؟

- يا للخيال أمي !

- لا تجهضِ غيماتك على أرض جدباء حبيبتي، الزواج ليس السبيل الوحيد، أمامك خيارات أخرى وأحلام تحققينها.

- وماذا بعد ؟

- سمر لا تفعل ذلك، كيف تفكرين ؟

- بواقعية أمي.

تستمر في إغلاق صومعتها حتى تزوجت.

ازدادت كآبة المنزل بعدها، لم يكن يضج سوى بصديقاتها بعض المرات، بعد أن اعتادت والدتها الوحدة واعتزلت العالم !

ركنت أمل فوق مقعدها المعتاد في الصالة العلوية، شاشة تلفزيون بلازما معلقة على الجدار أمامها وفي الزاوية طاولة صغيرة تحمل الهاتف وتقويم يراوغ وميض السنين.

تحلق أمامها أطياف ماض طوى علاقتها مع صديقتها حصة بعد أن ضاقت مساحتها الخاصة مع تراكم أطفالها الخمسة حولها.

التقطت الجريدة من الطاولة جانب مقعدها، رمت الجريدة ما أن بدأت تقرأ تشعر بارتداء خطيئة ظن بطيبين ورثوا العداء !

اقترب موعد عودة سمر من شهر العسل وأمل تكمل مراجعة صفحات حياتها تتأمل أثاث الصالة، لم تجد أي

لوحة معلقة أو زهور، رغم تكلفها في التأثيث وقرض لم تنته من تسديده بعد مضي عشر سنوات. تراكم مديونية الفوائد ترتب عليه سنوات أطول في السداد .

أثاث منزلها يخلو من الروح، يشبه نفسها الهاوية داخلها، تؤوب لحكمة طواها الدهر " العاري في القافلة أمين" .



عادت " سمر " من " ماليزيا"، ذهبت العائلة لزيارتها. ما أن التقت والدتها حتى انزلقت شهقتها كصبية أضاعها والداها في حديقة غناء .

بدأت تضحك بشغف مخبول، لم تتمكن من سرد حكاية أو حدث واضح عن رحلتها، تبدأ بالموقف ثم تتهيه بتعليق يزحف لموضوع آخر وعائلتها حولها في صالة جلوس شقتها.

نهض فارس من مقعده يرتدي بنطلون جينز وتي شيرت قطني، جلس جانب أخته مما أيقظ عيني والدته. قاطع حديثها الزائغ، تنثر عيناه السكينة على فتات حكايات شقيقته :

- لديك صور للرحلة ؟
- نظرت إليه، ابتسم لها، عاد صوت سمر المعهود :
- سأحضر الصور .

نهضت وبنطلونها البني الضيق يكشف تناسق جسدها رغم امتلائها ، ملامحها العذبة تشبه ملامح والدتها. زوجها "محمد" يحافظ على رشاقته، شاب يبدي اللطف.

طغت رائحة المعقمات والصابون على المنزل كأنه عطر تستخدمه لاستقبالهم، شقتها الصغيرة تبدو واسعة بتصريفها الجيد وخلوها من الممرات الكثيرة .

أربع غرف ضمنها مجلس للرجال وغرفة الطعام ثم صالة الجلوس والجهة الأخرى غرفة النوم وغرفة أخرى للملابس، ذهبت تعد القهوة .

تتأمل والدتها أثاث صالة اختارته سمر بصحبة زوجها بعد عقد القران.

لم تجد لوحة معلقة ولا باقة للزهور ولا "اكسسوار" من أي نوع !

شعرت بتوتر غريب ومشاهد غير واضحة تدور في رأسها ، نهضت بسرعة دون أن تلحظ مقاطعتها لحديث " محمد " الموجه لها ..اتجهت لابنتها في المطبخ :

- سمر، هل أنت سعيدة ؟

أدارت سمر رأسها تنظر لوالدتها رغم انشغالها بصب القهوة في ترمس التقديم الفضي، كأنها تتأكد من صحة السؤال، لكنها قالت:

- أمي، محمد شاب لطيف يحبني جداً .
- دعينا منه، أنت كيف تشعرين نحوه ؟

ضحكت هذه المرة :

- لا نزال في شهر العسل !

- هل يفهم أفكارك، يتيح لك مساحتك الحرة ؟

- إنه طيب أمي، يجعلني أتصرف كما أشاء .

تقدمت منها ، أمسكت كتفها بيديها الاثنتين، هزتها برفق :

- لا تسمحي بسلب روحك المتقدة سمر، أخبريني بكل شيء هل تفهمين، أرجوك .

تمالكت نفسها وخرجت من المطبخ وسط ذهول سمر .

لم تنم بهدوء بعد تلك الزيارة، لا تعرف لماذا .. ليتها لم تزوج سمر لا تزال صغيرة .. يتم خداعها بسهولة. هزت رأسها بقوة تنفض أفكارها السوداء.



عاد فارس من مدرسته كقادم من فحيح نهار يشرب العطش دون أن يلقي التحية، دخل غرفته وأقفل الباب . والدته تغوص في مقعدها كما عهدها دائماً !

يصدح صوت زوجها راشد عائداً من عمله في دائرة حكومية، يغني " مساء الخير والإحساس والطيبة " يصعد السلالم، نظر إليها تجلس في نفس المكان، ابتسم بسعادة :

- مساء الخير .. تقدم نحوها وطبع قبلة على وجنتها ورائحة عرقه تكاد تلتصق بها " الغدا الغدا " أكاد أهلك من الجوع .

بدل ملابسه وعاد يقف وسط الصالة يسألها عن فارس:

- أظنه نائم .

زمجر يؤنبها بنظراته، مد خطوات عسكرية لغرفة فارس :

- لا يجوز له النوم وقت تناول الطعام، ما هذه الفوضى .

ارتجف قلبها من ضرب يده القوية على باب الغرفة يوقظه بصوت جهوري :

- فارس قم تناول طعامك معنا ، ليس وقت النوم الآن .

زاد طرقه على الباب حتى فتحه فارس. قامته الطويلة أظهرت رأسه رغم وقوف والده أمامه، عيناه حمراوان من النعاس وشعره الناعم يتطاير إلى الأعلى بانزعاج :

- ما هذا ! تنام وقت الوجبة، هيا اغسل يديك وتعال معنا ." يظن أنه يسيطر على كل شيء والواقع أنه لا يسيطر على أي شيء !

تبع والده دون أن يغتسل وقبل أن يجلس حول طاولة الطعام الصغيرة في الجهة الدنيا من الصالة العلوية :

- ألم أقل لك اغسل يديك أولاً ؟ !

أدار جسده متجهاً لمغسلة اليدين في حمامه الخاص بغرفته، سرواله القطني الطويل يكاد يسقط من نحافته أكتافه منحنية بانحناء رأسه، يبدو نائماً خلف صوت لا يفيق.

بدأ راشد يلتهم الأرز بشراهة ويطقطق عظام الدجاج بأسنانه الكبيرة، يسب مديرهم الجديد ويتهمه بالغباء وعدم الإلمام بمهام العمل، يدعو الله أن يلهمه الصبر لأنه تولى مسئولية إرشاده لخفايا الأمور.

لم يتناول فارس شيئاً يذكر ولم يسمع له صوت كعادته يلتزم صمتاً يطفئ حضوره. ما أن نهض والده حتى ذهب لغرفته وأقفل الباب من جديد!



روح فارس القلقة تدفعه للبحث من مخارج تلهيه:

- أمي سأذهب للمنطقة الشرقية برفقة ثلاثة من أصدقائي.
- من هم أصدقاؤك؟

لا يتبدل أسلوبك في سؤالي، أصدقاء أحبهم ما الذي يتغير لو عرفت أسماءهم؟

- لا أعرف من أصحابك سوى ماجد.

قهقه ساخراً:

- ماجد !

أكمل بعد لحظة صمت :

- أصدقائي الجدد " سلمان و رائد "

- لم تكن تحبهم في مرحلة دراستك المتوسطة ما الذي تغير ؟

- رأيت ! لا تثقين بي، تمارسين علي الضغوط بأسئلتك الغريبة .

- أنا أثق بك، عُدَني صديقاً تعرف عليك مؤخراً ويسألك .

ازدادت عصبيته وعلا صوته :

- لا أحد يسألني هكذا سواك .

لم تتمالك أعصابها :

- لا أسمح لك أن تصرخ بوجهي، ماذا دهاك، هل نسيت أني أمك ؟

لوح بيده متذمراً :

- تبحثين عما يثير غضبك، لن تفهميني أبداً !

مضى يضرب الأرض بخطواته المسرعة على السلالم، صفق باب الخروج بقوة .

أطل راشد من غرفته، فانيلته قطنية بيضاء رطبة من العرق :

- كأني سمعت صوت فارس ؟

- يريد أن يذهب للشرقية مع أصحابه .

- لا يزال صغيراً ، لن أسمح له." أغلق باب الغرفة ".

أطبق الصمت، تستعرض أسلوب فارس الجديد ، كيف انفجرت أنبوبة سكونه إلى الصراخ في وجهها ، نظراته الغريبة لها ، كأنه يلقي عليها تهمة لا تعرفها !

تلاحقت الليالي بصخبها حيناً مع راشد و آخر مع فارس الغاضب دائماً دون أن يسمح لها بسؤاله أو معرفة أحواله ، لم يعد لديها جهد تبذله سوى الرهان على رحمة من السماء.



أمسكت مديرة المدرسة يدها ، تجتر وميضاً يلج من أعماق خفوتها لقبول ترشيحها كمشرفة في التعليم الخاص لذوي الإعاقات البسيطة :

- يجب أن تكف عن الرفض، لديك طاقة مهدرة في هذه المدرسة.

لا تترددي الآن " أمل " ولا تنسي إن لم تعط نفسك حقها لن يمنحك إياه أحد أبداً ".

وقعت هذه الكلمة على تعثرها بين ركام سقف أوقعه فارس بقسوته الجديدة ، رفعت رأسها وأعلنت موافقتها.



في مساء بارد تعطلت فيه أربع من أنوار "السبت لايت الصفراء " جلست أمل على مقعدها المعهود ، تستعيد أحداث أيامها رغم تشابهها كصفحة تم تدوينها على مدار السنة ، تشعر داخلها غفوة تود أن تفيق وسط لعنات قلب بدأ يترهل.

هاتفتها جارتها بعد المغرب، لم ترها سوى مرة واحدة منذ سنتين، تود زيارتها.

راشد خارج المنزل كالعادة في استراحة صديقه الوحيد ، يمضي الوقت مع كؤوس الخمر. يعود حيناً بعد الحادية عشرة مساء ويواصل السهر للصباح حيناً آخر، نهضت من مقعدها :

- لا حاجة لإثارة هواجسه لن أخبره بزيارة جارتي .

منذ فترة طويلة لم تستقبل أحداً في منزلها ، وجهت الخادمة لتجهيز أواني الشاي والقهوة ، وأسرعت لتبديل ملابسها ، دولابها أيضاً يشكو الهزيمة ، توقفت عن الخروج وقبول الدعوات منذ زمن .

اختارت تنورة قصيرة مع قميص حريري سكري ، يكمله جاكيت من الصوف الناعم .

رائحة الدولاب عالقة بملابسها المهجورة ، نفضتها وعرضتها لهواء مجفف الشعر الحار ، لم تختف الرائحة تماماً ، ارتدتها بعد أن أفرغت علبة العطر عليها .

رن جرس المنزل معلناً حضور جارتها سعاد، تبدلت مشاعر التوتر ما أن جلست معها في غرفة الضيوف، سعاد تشع مرحاً وحيوية، تتحدث عن أبنائها وجاراتها في الحي.

لا تتكلف في ردائها، جلابية بسيطة بأكمام واسعة، مقاربة لعمرها رغم سمنة أضفت عليها عدداً أكبر من السنين.

بعد ساعة من حضور سعاد انطلق صوت راشد يناديها كطلقة تنشر الفزع:

- أمل.

أطلت من خلف باب غرفة الضيوف:

- حضرت باكراً!

- نعم، ماذا كنت تظنين؟!

- هذه جارتنا سعاد.

عيناه تدوران في حلقتيهما بشرر:

- لا أتذكر هذا الاسم، ماذا تريد؟

طفق انفعالها كسيل هادر، أخرجت جسدها بعد أن أوصدت الباب، تقدمت نحوه خطوتين:

- جاءت لزيارتي، أنت ماذا تريد؟ دعني أستقبل ضيفتي بهدوء، لا تمارس علي ضغوطك القديمة، لم أعد أحتمل هذه الظنون.

أي ظنون؟ ليس من عادتك استقبال الضيوف، وقد فوجئت بذلك عند عودتي!

- حسناً ها قد علمت أنها جارتي، صينية الكعك والعصير لم أقدمها بعد، هل تحب سكبها كما فعلت يوم زيارة أهلي لي قبل سنة !

توقفت بعد أن بدأ صوتها يرتفع، تنظر خلفها لئلا تكون جارتها قد سمعتها.

- سوف أخرج وأدعك تمارسين طقوسك باسترخاء كامل !

أدار ظهره متجهاً للخارج بغضب. وثقب رداء علاقتهم يزداد اتساعاً في كل مرة .



تفيق ابتسامة عينيها أمام طيف صديقتها الجديدة مها القادمة من جدة لظروف عمل زوجها في الرياض، تعرفت عليها خلال عملها الجديد في مركز الإشراف، التقت روحاهما منذ مصافحتها للمرة الأولى داخل المكتب .

أجابت دعوة زيارتها فوراً بحماس لم تعهده منذ زمن. دارت معها "مها" في أرجاء شقتها الصغيرة، يطقطق كعب حذائها الصغير على السيراميك، ساقاها تتجاذبان بمرح تحت بنطلون البرمودا وقامتها الهيفاء.

بدت شقتها كتحفة فنية، لا أثر لأرفف مركونة أو أضواء معطلة رغم مضي أكثر من ثمان سنوات على سكنهم فيها بعد انتقالهم من مدينة جدة وامتلائها بأربعة من الأبناء المشاكسين، ابنتها روان مع ثلاثة أولاد أكبرهم في سن الرابعة عشرة .

دعتها للجلوس في مجلس الضيوف، الجدار مغطى بورق جدران فاتح، اختارت للكنب لوناً يفصل بين الألوان الباردة والساخنة "البرتقالي" لون يثير إحساسات متعددة، يذكر بدفء الشمس واشتعال النار، خداديات مطبوعة بورق ورد درجات الأورقنزا والسكري وبني يلتقي مع لون الأرضية من خشب " الباركيه " .

جلست وقد لاحت أمامها صورة أرضية الباركيه في صالتها العلوية وقد تآكل جزء كبير وانكمش بفعل تسرب المياه من حمام فارس قبل ثلاث سنوات وترك على حاله منذ ذلك الوقت .

قنينات الورد الزجاجية والشجيرات الطبيعية في مجلس مها أيقظت الفرح في روح أمل، تألقت عيناها :

- كم تمضين من الوقت تشذبين الشجيرات وتسقين الورد ؟

- قليل من الوقت يهبني المتعة أعتني بهم كعنايتي بأبنائي ." تبتسم"

- روحك جميلة مها، كم أود العيش بين ورودك .

- يمكنك صنع حديقتك الخاصة في منزلك .

حلقت عيناها في زاوية وحيدة خالية في المجلس :

- أخشى ركنها ، كل شيء يفنى هناك .

- يقطف فرحك تأويل كل حدث، امنحي نفسك بعض الهدنة عزيزتي .

أخذهم الحديث عن العمل والأبناء ثم الأزواج :

- هل يزعجك مها أن أصف زوجك بالفاضل !

بدأت مها تغوص في عمقها الإنساني تحاول فهم مفاتيح إدارة الحياة :

- الفضيلة مطلب إنساني قديم طلبه الفلاسفة ، تمناه افلاطون في المدينة الفاضلة أكد ذلك الفارابي، سوف في مجتمعنا كغطاء لنظام اجتماعي مهزوز، أصبحت الفضيلة لدينا حصاراً للإنسانية !

- الفضيلة حصار !

- الفضيلة قيمة وسلوك مكتسب، كيف باسم الفضيلة نحاكم مشاعر صادقة ؟

- الفضيلة تضمن قانوناً يحمي الحقوق، لا بد من وضع حدود تحقق أكبر قدر من العدل ومنع الجريمة .

بدأت تلوح بالفنجان الفارغ بعد أن أخذته من أمل لسكب القهوة يشعلها حماس الدفاع عن معتقدها :

- الفضيلة منهج اجتماعي يجب أن يتخلق به الجميع، نوع من الأمانة الأخلاقية لو تخلى عنه الناس لغرست الأحقاد والظنون في قلوبهم وانتشرت الجريمة.

- هل تظنين أن قيمنا الاجتماعية ضد الفضيلة ؟

- أنا لا أتحدث عن القيم لأنها قيم لا تمارس كما نظن والقيم تبلى وتجدد، أتحدث عن الواقع والسلوك المتبع، أبسط مثال على ذلك نظام الزواج، هل يعقل أن يرتبط اثنان يفترض أن يكونا لبنة أساسية في بناء مجتمع كامل ببصمة وتوقيع على عقد زواج دون أي معرفة سابقة بينهما !

اتسعت مقلتا أمل عن آخرهما :

- مها هل تؤيدين الحرية المطلقة ؟

- لست ضد الزواج إنما في طريقته، مجتمع يعزل المرأة عن الرجل باسم الفضيلة، الفضيلة ممارسة تطبق في المواجهة وليس العزل، العزل نوع من عدم الثقة وذلك يبني خللاً في السلوك، كيف يلتقي زوجان على الورق بختم شيخ جليل ثم على الفراش بمباركة الجميع وسط حفل صاخب وهما في الغالب يشعران بغربة روحية وفكرية ! الزواج علاقة إنسانية مبنية على ولاء نابع من القلب والخروج عن هذا النطاق إخلال بالفضيلة.



يتألق كل من يحظى بصحبة مها المتجددة، تضفي طاقة جميلة حولها، قررت نفض الغبار عن جمال " أمل " دون أن تتمكن الأخيرة من الرفض :

- أسنانك الصفراء تضيف الذبول على وجهك، لدي موعد عند طبيب أسنان ممتاز سأحجز لك موعداً غداً .

في غرفة انتظار السيدات داخل عيادة الأسنان جلست أمامهم سيدة لا يمكن التعرف على لون بشرتها، لم تكتف بعباءة واسعة تسترها، بل أضافت القفاز والشراب الأسود لمهمة التخفي .

أطلقت صوت سنته السنين وهي تمد ذراعها السميكة، تأمر طفلاً في السادسة إغلاق الباب حتى لا يشاهدها أي رجل قد يمر أمامه، رغم وجود غرفة الانتظار في زاوية لا يمكن المرور أمامها !

- يا ولد أغلق الباب بسرعة لا يكشفونا الرجال !

همست أمل :

- بماذا تشعر هذه السيدة ؟ كيف تفكر !

- لا تؤوبين عن جمع فوارق أي مشهد أمامك!

- نجتمع في غرفة انتظار مغلقة، ممنوع دخول الرجال، لم لا ينزعن غطاء الوجه ولو قليلاً !؟

ضحكت مها بصوت خافت :

- أنظري لنفسك " أمل" تشدين اللثام حول وجهك !

رمقتها بحنق :

- عزيمتي ضعيفة تعطلني دائماً ، أشعر بنوع من الخضوع القهري " ضحكتا ثم أضافت " :

- ذكرني ذلك بمتلازمة ستوكهولم .

عدلت مها جلستها ، تشد حجابها الحريري الشفاف برفق حذر أظافرها الطويلة حول وجهها المكشوف دون أن تعير العيون المتطفلة أي اهتمام:

- ما هذا !

تضحك "أمل" من سخرية صديقتها :

- إنها عبارة في علم النفس تشير إلى الحد الأقصى من التوتر الذي يعانيه المرء نتيجة ظروف الأسر والتعذيب .

- كيف تربطين بين نظريتك والمتلازمة التي تقولين عنها !

- تظهر المتلازمة عند ضحايا الاختطاف والسجناء وعند أتباع بعض الفرق الدينية المتشددة، والرهائن، حتى عند أولاد يتعرضون للإساءة . يبدو أن الضحايا يستسلمون لآسريهم، أو للذين يعذبونهم، حتى أنهم قد يعبرون عن مشاعر الولع والوله بهم !

-

دخلت الممرضة تنادي اسم إحدى المراجعات، توقفت " أمل" عن المتابعة حتى خرجت السيدة المدعوة وعم الهدوء من جديد .

- أكملي "أمل" للآن لم أفهم العلاقة بين نظريتك وما تؤمن به السيدات !

- أتى اسم هذه المتلازمة من حالة اختطاف حدثت في ستوكهولم، عاصمة السويد في عام 1973. احتجز فيها ثلاث نساء ورجل واحد لمدة ستة أيام، على يد سجناء سابقين أثناء عملية سطو على مصرف. وصل المحتجزون إلى حالة اقتنعوا معها أن هؤلاء اللصوص كانوا يحمونهم من رجال الشرطة. وأعلنت إحدى السيدات خطوبتها على أحد آسريها، وذلك بعد إطلاق سراح المجموعة، بينما بدأت امرأة أخرى بحملة دفاع عن المختطفين".

- ربما التقت أرواحهما بود لم يعتاداه من قبل.

- عزيزتي مها، هذه إحدى النقاط التي تعتمد عليها المتلازمة، بعد أن تشعر الضحية أن جميع طرق الهرب مسدودة ثم يهبها أحد الخاطفين بعض اللطف تنسحب روحها له دون أن تعي ذلك، تهرب من شعور الفزع والخوف داخلها باللجوء لحب الخاطف الذي يبدي لها بعض اللطف !

توترت مها في مقعدها، قالت بعصبية مضحكة وهي تفتح كفيها أمامها:

- لن أحب أحداً، كلهم يثيرون فزعي.

- تتطور حالات الفزع داخلنا دون أن نعي ذلك، مما يترتب عليه أسلوب حياة نعيشه ونفرضه على من حولنا بحسن نية. تعرضت فتاة في أمريكا سنة 1977 للخطف

من قبل رجل وضعها داخل تابوت في ظلمة تامة تحت سريره طيلة 23 ساعة في اليوم، أخضعها لحرمان تام، استمر هذا الوضع مدة سبع سنوات .

- يا للإجرام تبالغين هل يمكن ذلك !

- ما ذكرته حقائق قرأتها في كتاب الدكتورة " كاتي رايكس" عالمة انثروبولوجيا " كان يخرج الفتاة المختطفة لتعذيبها واغتصابها وإرعابها .

- وماذا حدث لها ستموت بالتأكيد .

- أكتشف من قبل الشرطة وأخذ جزاءه، تصدرت الحادثة عناوين الأخبار في الصحف وأطلقوا عليها قضية فتاة الصندوق، وبعد ذلك ظهر عبدة الجنس. تواصلت الأحداث مع ضحايا أخرى في اختطاف فتيات أعمارهن مابين الخامسة عشرة والعشرين. أوحى لهن الخاطفون أنهم الملجأ الوحيد ولو فكرن بغيرهم سيقتلن وتقتل عائلاتهن. مع الوقت ترضخ البنات لهم، ولا يفكرن بالفرار ويصل للبعض منهن أن يفتن بخاطفيهن ويدافعن عنهم بشراسة.

كادت مها تطلب من الممرضة الفلبينية الصمت وهي تعلن اسم إحدى المراجعات بصوت عال رغم صغر الغرفة .

- يا عزيزتي لو تلاحظين هذا ما يحدث لكثير من السيدات. تستخدم معهن أساليب بعضها مدروس وأكثرها توافق مع أنانية البشر وضعف المرأة .

- كيف ربطت بين تعذيب واغتصاب وبين امرأة تصان كرامتها في منزل لائق، ورجل مسئول وكفؤ؟

ضحكت "أمل" بمرارة :

- لم أتصور أن تنطلي عليك الخدعة مثلهم .

دخلت الممرضة بصوت ينعق تنادي "أمل" لدخول عيادة الأسنان .

- غداً في مكتب العمل أكمل لك، ولا تنسي أن تعدي كوب قهوة مركز "شكلك راح تقلبي راسي حتى تفهمي"

أدارت ظهرها تضحك خارجة من الغرفة، يصلها صوت مها المتعض :

- سوف أعدها ساخنة لغرض آخر .

وضعت كوب القهوة بحماس على المكتب وأمل مستغرقة في قراءة أحد ملفات العمل، صوت تصادم الكوب مع صحنه الخزفي يوحي برسالة ترك الملف جانباً مع حضور مها المباغت .

أزاحت خصلة فضولية انسحبت من مصادرة نظارة شمسية ترفع غرتها :

- فيه شي اسمه طرق الباب .

- فعلاً ! خاصة مكتبك كبير وغرفتك واسعة مترين ونص، اشربي قهوتك وأكملي نظريات العالمة أمل .

استمرت المشاكسة حتى بدأت أمل تتحدث بصوت جاد :

- لو سألتك من المسؤول عن تغيير فكر شعب كامل لدرجة اليقين بأن الوجه مصدر فتنة ؟ وليس مصدر تعريف بكائن مهم، مستقل بفكره وسلوكه يتبع قيم يؤمن بها.

- ربما لأن المرأة مخلوق ضعيف، تحاول حماية نفسها.

- من أرسل هذا اليقين لقلوبنا ؟ لماذا المرأة مخلوق ضعيف ؟ ربما في زمن البراري والجبال، زمن القوة بمعنى قوة عضلات الجسد. اختلطت المفاهيم وتضاعف الشك بدلاً من ازدياد الثقة والشعور بالأمان .

- ربما الخوف من الفتنة .

- التطرف في عزل المرأة عن الرجل زاد من ولعه بها وأصبحت تفتنه وهي مخبأة داخل عباءتها السوداء. ينظر إليها بشهوانية أكثر. تشغله حتى عن الإنجاز، بماذا تفسرين مطاردة الشباب لفتاة تتمايل في مشيتها رغم غطاء وجهها بالكامل بينما لا يتجرأ أحد على النظر لأجنبية تكشف وجهها وتمشي باحترام ؟!

- قلتها : تتمايل وتتغنج هذه دعوة صريحة .

- إذاً كشف الوجه والمشي بطريقة محتشمة كفيل بمنع الفتنة .

بعد لحظة صمت :

- لا أعرف، لم تجبيني كيف ربطت بين الأسْر في متلازمة ستوكهولم وبين نسائنا ؟

- تعتمد النظرية على أربعة عوامل " العامل الأول " أن تشعر الضحية بأن حياتها مهددة". وهذا يحدث لدينا. المرأة مهددة بدون الرجل في أبسط الحقوق قيادة السيارة مثلاً .

- هذي أوافقك، المرأة لا يسمح لها حتى بمراجعة أوراقها في المؤسسات الحكومية، لا يمكنها القيام بواجباتها الاجتماعية أو الطارئة دون وجود رجل يقود المركبة .

- العامل الثاني " يظهر الآسر للضحية بعض اللطف " تلاحظين كثيراً من الرجال لا يسمحون للسيدات بمزاولة الحياة كما يقررن هن، تذكرين زميلتنا "سامية" كانت تبكي وجميع أخواتها مع والدتهن سافرن مصر بينما رفض زوجها سفرها معهن. كان يمنعها من حضور مناسبات الزواج المقامة في الفنادق !

- لم تكمل الماجستير بسبب ممارسته كثيراً من الضغوط عليها.

- نعم كانت بائسة مع زوج متسلط. تفرح عندما يسمح لها بالزيارات العادية. من سمح له ؟ كيف تخلَق فكره بهذه الطريقة ؟

- تربية والدته ساهمت في ذلك، المرأة تقرر مصير هلاكها دائماً.

كيف مها ؟

- المرأة متمثلة في الأم أحياناً لها دور قوي في تأهيل جيل يفكر بعدل أو العكس.

هزت "أمل" رأسها وهي تتأمل قنينة الزهور الصناعية على طاولة صغيرة أمام مقعد مها :

- أضفي لعدم حمايتها ، إرهابها وربط غضب الله بغضب الزوج، كأن الزوج نقطة الوصل بينها وبين ربها. وعندما يسمح لها بمزاولة حياة طبيعية في زيارة أو سفر تظن أنه أكرمها ووهبها الحياة !

- ذكرني ذلك بمقولة ميشله. " نهضت بسرعة تشير بيدها علامة الاستئذان" سأحضر مقولته من نوتتي الصغيرة .

رفعت " أمل " حاجبها وآفاق جديدة تفتقت وتلحظها في شخصية مها ، غدت ساعة دفء في أيامها المثقلة بالجمود. تأملت اعتداد مها الواضح في طريقة جلوسها على كرسيها :

يقول عالم الفلسفة ميشله " إن إحدى اللعنات المفروضة على المرأة هي أن تترك منذ حداثتها لتعيش في جو يحفل بالنساء، الصبي يترعرع تحت إشراف أمه لكنها تكن الاحترام لرجولته فتتركه طليقاً بعض الشيء بينما تسعى لضم ابنتها إلى عالمها النسوي!

- مها ، المرأة في الحجاز حققت نوعاً من التقدم في إثبات الذات، تجاوب المجتمع في قبولها دون إلصاق الشبهات، تواصل المدينة مع أجناس مختلفة من الناس خلال عبورهم أوقات الحج والعمرة ساهم في بناء نضج أفضل.

ألقت مها كفها بإحباط :

- ليس كما تتصورين، نظام التشريع يشملنا جميعاً عزيزتي. لن تتمكن مجموعة من السيدات بمفردهن من تغيير فكر أقيم منذ سنين طويلة. أكملي لنرى كم من الدماء تهدرها المتلازمة العجيبة .

- العامل الثالث " عزل الضحية عن مشاهدة أي شخص غير الآسر"

تعزز فكر القوة لدى الرجل والضعف عند المرأة في مجتمعنا ، لا يسمح لها إلا بمحادثة زوجها ، هو الرجل الوحيد المسموح له في حياتها سوى محارمها ، لا تخرج عن نطاق الحوار معه. لو حاورت رجلاً آخر ربما تتهم بالفساد. يعزز ذلك أحاديث يقولون أنها نبوية لا أعرف مصدرها !

- بالفعل عزلها عن الرجل ضاعف توجسها وخوفها لدرجة طغت على تصرفاتها.

- المرأة في العيادة أمس رغم اختفائها الكامل باسم الستر ظل داخلها خوف أن يراها الرجل وهي تجلس في غرفة مخصصة للنساء، لأن الأمر تطور في فكرها وأنتج كيانها الهش، أصبح لديها شعور بهزال نفسي لا يعينها على مواجهة حقيقة ارتبطت بخروجها من المنزل .

أكملت مها :

- لا قوة لها للتحليق والانطلاق بقوة أو تغيير هذا الواقع .

هزت أمل رأسها بالموافقة :

- نعم أصبحت عادة تتنقل كالعدوى بينهن، حتى من كنزت يقين قدرتها على المواجهة بكشف غطاء الوجه وهي تجلس معهن في غرفة انتظار لن تترك في حالها، تسلط عليها العيون خلف النقاب، كأنها كائن فضائي غريب، لن يدعنها بسلام بينهن !

- لهذا كنت تغطين وجهك أمس ؟

- تتولد لدي طاقة أحياناً، أدخل بكل اعتزاز وأنزع غطاء وجهي في محطات انتظار النساء دون أي اهتمام، أتناول مجلة على الطاولة أو أنشغل بجوالي، لكن أكثر المرات تكون طاقتي مسلوبة ومعدل الإحباط لدي مضاعف ولا أقوى على أي مواجهة.

- ابقي مع الجماعة وتخلصي من هذا النزاع .
- إلى متى !؟
- لن تغيري فكر جماعة بممارسات شخصية أبداً .
- لكن الضرب على الحديد يلينه .

ابتسمت وهي تكمل :

- حسناً العامل الرابع " هو اقتناع الضحية عن حق أو عن غير حق .

يقنعها الآسر أنه قدرها المحتوم لو اختارت غيره ستكون نهايتها، جميع البدائل مرفوضة وطرق الهرب مسدودة. أيقنت المرأة عدم قدرتها على اتخاذ سبيل آخر،

اعتادت الهزيمة كطحلب يلتصق في جدار بركة راكدة، ورثت الخضوع في حقبة التاريخ. لم تهب نفسها حق تجريب دور البطل، اعتادت انتظار بطلها ليخلصها. لا تخرج من نطاق سؤال واحد لا تجد له إجابة ولا تحاول تغييره، سؤال انسجم مع وضعها المعاق، دائماً تتساءل " من يعينني مجتمع أم قانون !



عقارب الساعة ثقيلة، تنتظر ابنها فارس، لا يجيب اتصالاتها. رد عليها من جواله أخيراً :

- لن أحضر لا تنتظريني ..

أقفل الخط .. لم يرد مرة أخرى ..

انتظرته طوال الليل، يشلها الخوف عليه كطفل يتقاذفه الموج . فتحت التلفزيون نافذتها الوحيدة على العالم، تقتل الوقت الطويل، 1100 قتيل في فيضانات باكستان، حزب الله يحذر من اعتداء إسرائيلي جديد على لبنان وأن المنطقة على كف عفريت .

مشهد شيخ يحض المرأة على طاعة زوجها مردداً حديثاً عن الرسول عليه السلام : " لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها " .

أقفلت التلفاز : " بعد غد اختبار فارس النهائي في الثانوية العامة". أخذتها الأفكار بعيداً تحفر داخلها نفق

هرب من ألق لا ينتهي. تغير فارس، لم أعد أعرف كيف يفكر، ماذا يريد، ابتعد عني كثيراً وربما أنا من كانت بعيدة عنه، لا أدري !

جلوسها تحت الضوء الخافت لا يكشف وجودها وقت السَحر، سمعت حفيف معطف فارس الصوفي على حواف الدرابزين بشكل ملفت، كأنه يترنح.

انتشلت نفسها من المقعد مفزوعة، شعره اللامع يعكس نور السلالم، عيناه حمراوان، رائحة الخمر كغثاء الهزيمة، ارتعشت قدماها، كادت أن تقع :

- فارس ما هذه الرائحة، تشرب الخمر !؟

بدت عيناه اللوزيتان جاحظتين وشفتاه الصغيرتان زاد انتفاخهما. لم تسعفها ساقاها على الوقوف أكثر، استعانت بالحائط ترتجف، دخل غرفته وصوت قفل الباب يضرب أذنيها.

انهار جسدها على الأرض وساقاها مثنيتان دون تجانس داخل بنطالها البني الواسع، يكمل الليل جنوحه في منفى الألم .

لم تع كم مضى من الوقت عندما حضر راشد يصعد السلالم، حالته ليست بعيدة عن حال ابنه يترنح يسبقه صوت فواقه :

- لماذا تجلسين هنا ؟

يتوه بؤبؤ عينيها في البياض، يعجز عن تفتيت دمع متحجر، تنظر للاشيء، لم تع حضوره .

- طقوسك غريبة حتى في اختيار أماكن الجلوس !

حاول الضحك بسخرية لكن أعاقته حشرجة صدره . بدأ يكح وينفض البلغم على الأرض.

تجاوزها يسحب ساقيه لغرفته، ألقى نفسه على الفراش دون أن يبدل ملابسه وغط في النوم .

يسف النهار الوقت ببطء، تتعرى المشاهد في عينيها بلا هوية، فارس لا يخرج من غرفته، تناولت علبة الحبوب المسكنة الخالية، يضج رأسها بفوضى تدعوها لخلعه، نادت الخادمة الفلبينية :

- ميري هل لديك حبوب مهدئة، رأسي سينفجر ؟

ناولتها الخادمة المسكن مع كأس ماء :

- شكراً ميري، تسعفيني دائماً لأبقى !

لم يتناول فارس طعاماً يذكر، طلب من الخادمة أن تحضر له شطيرة جبن وقت الغداء دون أن يكملها وأبوه لا يزال يغط في نومه.

فتحت باب غرفة ابنها وجدته يمد ساقيه الطويلتين على السرير ويضع جهاز الكمبيوتر المحمول على حضنه دون أن يحرك رأسه بالتفاتة إليها.

سألته :

- فارس، هل يحقق لك الخمر السعادة !

لم يجبها ولا حتى ينظر لها.

جلست على مقعد طاولة المذاكرة في الجهة المواجهة لسريره :

- صدقني بني العبث لا يجني السعادة أبداً !

رفع رأسه باستخفاف، تغوص نظرة العتب داخل غموض عينيه، صوته يموج بين الحزم والغضب:

- سعادة! هل أنت سعيدة ؟

- أنا! سعادتي تنتظركم تحققونها لي.

وضع جهازه جانباً ونهض من سريره دون أن ينظر إليها وهو يخرج من الغرفة:

- إذاً لا تسهري في انتظاري مرة أخرى ووفري نصائحك الثمينة .

أصابتها كلماته في الصميم. كيف يعايرها في صبرها على ظلم وبخل أبيه السكير، هزتها كلماته، سقطت حجارة بناها الصبر حولها. خرجت بانكسار شهدته جدران غرفته، بقايا رائحته تعانق أنفاسها .

رمت جسدها على مقعدها ، الضوء يرسل إشاراته المنهكة، والوقت يهوي غريباً في ذاكرة تؤجل الفرح :

" نعم .. لم أسأل نفسي يوما هل أنا سعيدة، طغت مصلحة أبنائي وخوفي عليهم، لم أهنأ بوقتي أو نقودي لحظة، كل شيء لهم، هم فقط.

الآن كبروا، ازداد وعيهم بما يجري . باتت تعاستي عائقاً لنجاحهم. لم تعد للحياة أهمية لديهم .

كرِهوا ليلاً صامتاً يشهد هجوم والدهم الشرس على أغلى مخلوقة حضنتهم واحتفلت بهم .

نعم ابني الحبيب .. بعد أكثر من تسعة عشرة سنة أقول لك نعم لست سعيدة !

ابني الحبيب قل لي : كيف ننجو .. دلني بني .. كيف !

بدأت تنوح والخادمة تصعد السلم لغرفتها العلوية تنظر إليها وتهز رأسها تأسف على حالها.

حاصرتها الأفكار أيام طويلة، لم يعد الليل رفيقها .. يكاد يتشقق بفجر يخلصه منها .. يؤرق عينيهاالنور .



- أمل سأحضر فوراً وأخرجك من درك حزنك .

لم تسمح لها مها بالركون في زاوية الذنب، كانت رقيا نجاة.

بعد أن أخرجت أمل من صومعة اكتئابها، حثتها على ممارسة الحياة، إلا أنها فاجأتها ذات يوم، دخلت عليها في مكتبها الصغير:

- سأفتقدك أمل.

ألقت أمل الأوراق على المكتب ونهضت فوراً، لم تكن مها توارب الحديث معها بل كانت تقاوم البكاء:

- لماذا تقولين ذلك ماذا حدث؟

- لقد وافق زوجي على مهمة انتداب في عمل خارج المملكة، مدة أربع سنوات.

غطت فمها بيدها:

- ستذهبين معه؟

- نعم.

حضنتها أمل دون أن تبكي، ودت أن تضمها بقوة تمنعها من المغادرة.

تكاد تجف أوقات المرح في حياة أمل بعد سفر مها، يطول الوقت دون أن تجد من يؤنس وحدتها.

توالت الأحداث سريعاً، أثبتت أمل جدارتها في مجالها الجديد، وافقت على رحلات إرشادية لأهالي الأطفال المعاقين في قرى وهجر في المنطقة الوسطى.

تذهب الصباح لاماكن قد تطول المسافة إليها بالسيارة لساعتين وأكثر، تمر داخل هجر وقرى تبوح بالفقر وتملؤها الوحشة.

وصلت منزل عائلة فقيرة وضعت ضمن خطة توجيه ميداني لها، تبعد عن الرياض مسافة تتعدى 180 كيلو لم تتمكن من الوصول بسهولة للعنوان المدون لديها، سألت صاحب محطة البترول الوحيدة المغروسة وسط الرمال :

- تعرف عائله عندهم ولد معوق .
- فيه عايلتين عندهم معوقين .

وصف لها المكان واتجهت في طريق ترابي تحذر السائق لئلا تغوص كفرات السيارة في الرمال، تتأمل المساكن الشعبية نصفها من الطين والنصف الآخر من الحجر، لا يتعدى عددها أصابع اليد، شعرت بالخوف وقررت أن لا تعاود المضي وحدها مرة أخرى، حتى أثار انتباهها سيدة تغطي وجهها بنقاب لا يظهر سوى عينيها الكحيلتين تقود سيارة يابانية، يتضح الحناء في كفيها الممسكتين بمقود السيارة، تنظر للطريق بثقة أثارت غيرة أمل .

طلبت من السائق الهندي الذي مضى على وجوده في السعودية أكثر من ثمان سنوات النزول والتأكد من وجود سيدة لتتحدث معها.

أشار لها السائق بالنزول، طلبت منه الوقوف عند الباب وسيدة يبدو عليها الهرم رغم عدم تجاوزها الخامسة والأربعين تدعوها للدخول .

دخلت ممر المنزل الضيق لتنتهي بساحة صغيرة مربوط في طرفها طفل في السابعة بحبل لا يتعدى المترين .

- ليه رابطينه ؟

- أذاني وأذى خوانه الصغار، شق بي، وإذا أطلقته في الشارع ماعاد لقيته .

لم يقبل راشد ذهابها لهذه المناطق :

لن أسمح بهذه المهزلة ومطارداتك الغريبة في هذه القرى.

رغم نيتها عدم الذهاب لتلك المناطق من جديد إلا أن سلوكاً جديداً بدأ يستشري في ردودها معه :

- لست مجبوراً، طلقني .

زاغت عيناه دون أن يقبل ردها الجديد ، خرج من المنزل ليعود آخر الليل وقد أنهكه الخمر .

جر غطاء سريرها وهي تغط في نومها ، رفعت رأسها ليوقظها بصفعة على وجهها بممارسة جديدة لم تعتدها منه!

لا يطيق سيرة فراقها ، ود لو عاقبها بشكل أكبر على نطقها كلمة طلاق .



خرجت من منزل والدتها زحفاً لحياة جديدة مع راشد. تطلق آمالها في فضاء رحيب مواجهتها مع ابنها قلصت مساحات الصبر حتى كادت تخنقها ، وجدت نفسها تسقط على أرض جدباء .

حتى في رحلاتهم العائلية القليلة لبعض الدول العربية، يمضي أكثر الأوقات مخموراً ويمنعها من المغادرة مع أبنائها دون صحبته.

بدأت تعادي رأي والدتها في معنى صبر نتيجته ابنة بلا طموح، ولد سكير، أم تعيسة!

تفكر: "هل تعاستي سبب فشلهم!؟

شرب فارس للخمر جعلها تفيق من غفلتها، سألت نفسها: " ماذا أنجزت؟ بت أنتظر انتصاري بهم، هاهم تخلوا حتى عن أنفسهم، فضلوا الهرب.

تود هجر راشد، لكن أين تذهب، اعتادت الاستقلال عن منزل أهلها تريد أن تنتقل بكيانها الجديد لا أن تعود أدراجها هناك.

مرتبها ملئ بقروض البيت، بقي كثير لتنتهي منها، ماذا يبقي في العمر تحققه!؟

قررت التفاوض معه للمرة الأخيرة خلال أوقات هدنة نادرة بينهما:

- اشرب الكحول خارج المنزل كما يحلو لك، لا تنم بجواري إلا بعد أن تفيق وتستحم.

كعادته يعطيها وعداً لا يكمل مدته القصيرة، ثم يعود لإهانتها وفرض نتن جسده عليها، وتقييدها وفق فكر لم يلتق معها في يوم.

تشعر أحياناً بأنه يود أن يزيح شبقه جانباً، ويسقط بين ذراعيها كطفل يطلب النجاة، لكنه لا يتمكن من فك شيفرة تومض داخله، تمتهنه ذاكرة مليئة برموز قرصان تنثر شظايا الرهائن !



دُعِيَت لحضور ندوة عن تأهيل المعاق. من ضمن المحاضرين الدكتور "طلال" متخصص في الإعاقات العصبية. تطرق خلال حديثه لإدمان الكحول وتأثيره العصبي بشكل أثار انتباهها وصورة ابنها فارس بين عينيها، مما أثار لديها كثيراً من الأسئلة.

بعد انتهاء المحاضرة صادفته أمام المصعد مع أحد المحاضرين، تقدمت بجرأة لم تعتدها، أربكتها أناقته، ساعة باهظة الثمن نظارة أنيقة :

- دكتور طلال.

التفت ينظر إليها :

- لدي سؤال إذا تكرمت.

اقترب منها قليلاً وأحنى رأسه منصتاً يعطيها نوعاً من الخصوصية :

- تفضلي اسألي.

فقدت اتزانها من جديد، تضاربت الأسئلة في رأسها قالت بسرعة :

- هل يمكنني الاتصال بهاتفك بعد أن أرتب أسئلتي ؟

سلمها كرته الخاص وابتسامة كادت تفقدها الثبات، وصوت يملؤه الدفء :

- أنتظر اتصالك .

نهضت داخلها روابي ندية بزهور الأوركيد .

هاتفته اليوم التالي، تسارعت دقات قلبها عند سماع صوته :

- آلو !

لا تعرف كيف بدأ الحديث، هل سألت الأسئلة التي أعدتها أم لا ؟

كل ما تتذكره أنها عاودت الاتصال مراراً، تحدثت معه عن كل شيء، العدالة الاجتماعية. السياسة العالمية، المساواة ..

تحدثت معه كأنها طفلة حرة ترسم لوحاتها الخاصة على جدران غرفتها .

يسمعها بتحد، ويجيبها باحترام، ينصت إليها حتى تنتهي .

يتحدثان وكأنهما سيعيدان توازن الأشياء، يختلفان دون احتدام .

تحدثا كأنهما يبحثان عن الشفاء .

بدأت تملأ هوامش ملفاتها حنيناً إليه .

تمتلئ صفحات الزمن بالأقدار، و"أمل" لا تزال تمسك مجهرها تبحث عن بذرة خلقت لها تنمي فيها أوقاتها الباقية.

بدأت تحذر اتصالاته .. ماذا لو أحبته ؟ متزوجة. لديها أبناء بحاجة إليها. هو في الخامسة والأربعين، مطلق ولديه ثلاثة أبناء أصغرهم في السادسة الابتدائية، ترك المنزل لهم مع والدتهم واشترى شقة خاصة في حي المحمدية قريباً من عيادته .

اقترب موعد اتصاله وازدادت الفوضى على مكتبها. تنقل الأوراق دون هدف من مكان لآخر. تهرب من شعور انتظاره .. تكاد تكون الساعة العاشرة، بدأ قلبها يخفق بقوة رن الهاتف ورفعت السماعة بسرعة . جاء صوته يزيد ارتباكها، تعطر أذنيها بسماعه:

- أهلاً .

بدأت روحها تعلو على كل التحفظات ..

كتبت في هوامشها الخاصة :

"علمني كيف أنصت، أعبر عن رأيي دون انهزام الرأي الآخر. لكل منا نظرته الحرة. علمني كيف أكون صديقة روحي .. أعطيها حقها من الاهتمام. رجل أشعرني أني امرأة جميلة تستحق الفرح"

- يجب أن تحضري محاضرة الدكتور عصام عن أنماط السلوك، سوف تزيد من خبراتك في بحثك الجديد.

شعرت أن حضورها قضيته ذلك اليوم، وافقت .

دقت الساعة دقتها الأولى في صباح يدعوها للحياة، تشع كأنها من أبطال الديجتال !

حضرت المؤتمر في قاعة فندق مميز. حضور النساء والرجال في قاعة مشتركة بشكل لم تعتده .

أوقفها صوته قبل دخول الممر. تثور ملامحه بالجاذبية رغم حدتها. تحكي عيناه العسليتان قصيدة تعبر عنه مما زاد اضطرابها.

- تنتظرني ؟

- منذ عرفتك ..

صمتت، صوتها يكشفها.

يأسرها المضي في خطاه، عباءتها تلتف على عودها الناعم، يصل رأسها كتفه رغم حذائها العالي، اتجهت لا شعورياً بمحاذاته إلى طاولة تمتد في القاعة ذات الأنوار الساطعة، فوق الطاولة اسمها بجانب اسمه .. خطط لكل شيء مسبقاً كما يبدو!

بينهما تواصل دون صوت. للمرة الأولى تجلس قرب رجل غريب يهتم لأمرها، صادف جلوسها جانب رجل في مسرح أو قاعة سينما خلال سفرها لبعض البلاد العربية في السابق، مجرد تجاور مقاعد.

شعرت كأنها معه داخل فقاعة شفافة ثابتة تحتويهما فقط في عزلة عن كل من حولهما.

تسمع أنفاسه وتشعر بها تشتم رائحة عطره بخدر، لم يلتفت إليها أبداً .. نظرت إليه تورّدت وجنتاها ! اندفعت الدماء بحرارة لرأسها .. سحبت منديلاً تمسح عرقها تحت الغطاء الخفيف. لم يعر اضطرابها أي انتباه كأنه لا يعرفها .. لدرجة أشغلتها .

بعد انتهاء المحاضرة قال بسخرية :

- لم تلقي للمحاضرة بال ؟! يبدو أنك تفضلين أن أعيد شرحها لك .. تعالي .

مشت معه بطواعية من جديد. هكذا مضت علاقتهما خلال الستة الأشهر الأولى .



أيقظها الأرق ذات ليلة، اشتعلت عيناها في الظلام، لم تغير حركتها، تنزوي على طرف سريرها، تعزلها الأفكار " لماذا يكتفي بمحادثتي فقط. دون همس أو اعتراف. كأنها المحادثة الأولى في كل مرة !

هل ارتباطي هو السبب. نهضت وتقدمت باتجاه غرفة ابنتها سمر، أضاءت الأنوار، أغلقت باب الغرفة خلعت

رداءها وبدأت بفحص جسدها وتأمل كفيها وشد جفون عينيها وقد بدأ الزمن يخط طريقه فيهما ، تفكر في حقن تجميل تزهر شبابها ، ما أن انتهت حتى تنهدت " آه كم أود أن أتحرر من كل شيء سواه ".

مشاعر فاتنة لم أعها أو أعرها اهتماماً أيام الثانوية والجامعة تجنبتها كعار. هاهي تثور الآن في أشد أوقاتي حاجة للثبات والهدوء ".

هاتفها في نهار ساخن يتلو نهجه الجديد :

- دعيت للمشاركة في مؤتمر في دبي .. ستأتين معي .

رغم تأكدها من استحالة ذلك إلا أنها رفعت راية الجدل مع زوجها بعد أن سكبت له فنجان قهوة العصر المعتادة ، حتى علا صوتها :

- تقف أمام نجاحي ، لم أعد أحتمل .

- بأي منطق في هذا العمر تبحثين عن نجاح جديد !

- تُفضل أن تراني بعد عشر سنوات أندب حظي من إضاعة الفرص .. دعني أعش .

- لن أسمح بذلك أبداً ، انتهى الموضوع .

لم يصبها إحباط من رفضه ، داخلها حذر يتشرب أنفاسها لم تفهمه أشعرها بالرضا !



مع اقتراب الاختبارات النهائية أصبح موال المذاكرة هو الحوار الوحيد بين فارس ووالديه، فاجأها ذات يوم تجلس على مقعدها المعهود في الصالة، ينظر إليها بعينيه التائهتين متخذاً قراره :

- أمي لن أحضر اختبارات هذه السنة، حتى أعدل مستواي في العام القادم .

قفزت في عينيها معاناة إيقاظه كل صباح للذهاب إلى المدرسة وقبل أن ترد سمع والده حديثه وهو يخرج من غرفته :

- تقرر كما تشاء! ومصاريف سنة قضيتها في مدرستك الخاصة 22 ألف تدفعها والدتك !

ردت أمل بامتعاض :

- لا تخاطبه بهذه الطريقة راشد .

- تهدرين أموالك على الفاضي. " نظر لجواله يرن في يده، تركهم مسرعاً لموعد استلام خمر صنعه رجل يمني تعرف عليه في مطعم شعبي" .

لا يأبه للطريقة البدائية في طريقة عمل الخمر المحلي " العرق " وما قد يسببه من أمراض أمام رخص ثمنه !

دخل فارس الاختبارات بعد محاولات والدته في إقناعه وهو يردد :

- لا أتمكن من صناعة قراري في هذا المنزل !

أحضرت له مدرسين خصوصيين مصريين وشاميين، الساعة لا تقل عن مائة وخمسين ريالاً إلى ثلاث مائة حسب صعوبة المادة.

توقظه والدته بعد المغرب لحضور الدرس الخصوصي، يدخل وعيناه شبه مغمضتين أثر سهره في العبث، يبدأ المدرس شرح الدروس وهو يتطفل على ساعته باستمرار، لديه مواعيد مع طلبة أُخر، يضرب على الطاولة بقلمه طوال الوقت لإيقاظ فارس .

بالكاد نجح فارس بمعدل أدنى، تتعدد صداقاته، لا يثبت على مجموعة فترة طويلة، لم يعد يهتم بأناقته كما سبق .

دخلت أمل غرفة فارس. وجدته يفترش الأرض يرتدي بنطلون الجينز مع قميص قطني أسود تتخلله صورة مطرب أجنبي شعره ينزل على أكتافه يلبسه باستمرار. كدرها وقته المكدس للعب فقط مع جهاز السوني ومغرياته المتجددة.

لمى تتبع والدتها وتتجه لسرير فارس تقفز عليه، ينظر إليها بحب وهو يبتسم يدللها دائماً، يلاعبها كطفل بعض المرات :

- ياصغنونة لاتخربين سريري .

أخرجت يدها من جيب قميص نوم أزرق بهت لونه :

- فارس، ألعاب السوني خدعة تسرق طاقتك، كيف تحقق النجاح ؟

رد ساخراً :

- نجاحي هو الفوز في هذه اللعبة .

مدت يدها للجهاز وأغلقته غاضبة :

- توقف عن خداع نفسك وزراعة الوهم، اعلم أنك تتهرب من تحمل المسؤولية بهذا الهراء. اعتدت الكسل، مات داخلك الحافز، تشعر بالخواء .

- نظر إليها من قاع مهزوم، يقاوم حسرة تكاد تخرج من عينيه، توقفت لمى عن القفز تنظر إليهما فاغرة فمها.

- لم أنل إعجابك في يوم، تصرخين في وجهي، تملئين غرفتي بالأجهزة، تدفعيني لها عندما أحاول إثارة اهتمامك !

التقت عيناها ألمه، تمزق ستار يخفي جوهراً مدفوناً لم تره في يوم . خرج دون أن يعطيها فرصة الدفاع، لم تره أسبوعاً كاملاً، أرسل خلالها رسالة هاتفية يخبرها أنه بخير وسيعود نهاية الأسبوع .

وقف راشد أمامها وهي تسترخي على مقعدها في الصالة تقلب القنوات بملل ولمى تنام في حضنها كأنها في سنتها الأولى رغم تعديها السادسة من عمرها :

- أين فارس ؟

ردت تداري وزره دون تفكير :

- دعاه صديقه في مزرعة على طريق القصيم، وقد سمحت له بالذهاب سيأتي آخر الأسبوع .

- لم يستأذن مني. سينال جزاؤه عندما يعود.

لا يتحــرك أحــد في المنــزل دون الرجــوع إليــه أولاً ، ود مقاضاتها على السماح لفارس بالنوم خارجاً دون الاستئذان منه، رغبته في السهر ذلك المساء شدت لجام ثورته. توقفت الحياة في المنزل بين الثلاثة، أو بالأصح لم تكن موجودة، كل ما في الأمر أن أمل وعت ذلك مؤخراً .

لم تصارح طلال بما يغمها، تشاطر وجدها بعيداً عنه، كأنما تعيش معه عالماً افتراضياً معزولاً عن واقعها دون أن تعي ذلك .



نهار غائم تهمي السماء برذاذ الماء، رائحة المطر تعانق التراب الندي، انتشت رائحة الخزامى في جوانب الممرات، والبرق يثير حفل السماء. اضطرت للخروج بحثاً عن سائق لم يرد على اتصالاتها نهاية الدوام .

يضرب كعب حذائها الأرض بعصبية. كادت تسقط وهي تتراجع فزعاً من سيارة أوشكت أن تصدمها، فتح الباب يدعوها للصعود :

- طلال ! ماذا تفعل هنا.

- اركبي سأخبرك عما حدث للسائق .

كأنما الشوق بينهما حكاية تتطور أحداثها على مهل، قررت الركوب معه للمرة الأولى دون أن تحاكم نفسها أو حتى .. تحاول!

أغلقت باب سيارة اللكزس السوداء. لف مسرعاً يحاول إخافتها :

- ودعي المكان سأختطفك عقاباً لك على إهمالي .

نظرت إليه بعينيها الواسعتين تتأكد من سلامة عقله .

- تحاول إخافتي !

- لم يعد هناك وقت للعقل أهلاً بالجنون .

استيقظت داخلها فتاة مندفعة تحب الحياة، بدأت تضحك :

- ماذا حدث للسائق ؟

أخبرها عن صديقه ضابط المرور وقد أوقف سائقها في المكتب لإعاقته عن الحضور .

- سيزداد ذعر سائقنا، يرتبك ما أن يرى سيارة الشرطة .

أوقف السيارة عند مطعم يقدم الأطباق اللبنانية في شارع التحلية دعاها للنزول :

- لا تعاملني هكذا، لا أقبل هذه الدعوة .

- حسناً نأخذ الطعام لشقتي .

نزلت من السيارة فوراً، المطعم أفضل من اقتراح الشقة .

جلسا حول طاولة في زاوية هادئة. لا يسمع سوى صوت تصادم السكاكين والشوك أحياناً، وضعت حقيبتها الكبيرة على الطاولة ثم عادت ووضعتها في حضنها، لا يدعها حجابها تطبق على يديها بسلام بعد أن ينزلق خلف رأسها، تحرك يديها بعشوائية لتثبيته تقع عيناها على يديه، يحركها بتناسق كأنه يعزف لحناً أسطورياً.

- لم أسألك هل تعجبك الأطباق الشامية!

ابتسمت:

- لو قلت لا ماذا تفعل؟

نظر حوله وقال بهمس:

- نهرب لمطعم آخر.

نفضت قيود الرهبة، عادت إليه تبعث حكاياتها العابرة أنفاس الوله.



المواقف جديدة عليها، لم تتمكن من تكوين صورة واضحة لتبعات ما يجري، ما أن ترى طلال حتى تصمت كل المحاذير وتُرفع راية الهدنة.

خلال أسبوعين قبلت مرة أخرى دعوته على العشاء في مطعم أحد الفنادق، بدأت تهزم الريبة وتفتح أبواب

السكينة، جلسا حول طاولة معدة لشخصين يظللها زجاج يطل على مدينة الرياض، كأنهما في مغامرة فضائية، شعرت بتجدد روحها وصفاء أشرق في عينيها :

- كل هذا الجمال في مدينة الرياض !

حضنتهما لحظة هاربة من كدر أيام ثقيلة أسرت عيونهما في دفء اللقاء:

- الأماكن كما هي، عيناك، صوتك هما الحقيقة الجديدة .

تشعبت داخلها شبكة أسرت بوحها وبرز تمثالها المعتاد داخلها يغير مسار الحديث، تهز كتفها وتنظر لزهرتين على الطاولة داخل قنينة من الكريستال :

- وقت التسلية الوحيد لدينا هو الأسواق، لا بديل لها.

نظر إليها طويلاً، تنهد تنهيدة صغيرة ويده تبحث في جيبه عن علبة السجائر لمسها دون أن يخرجها، قال بلهجة روتينية لا تدل عما يعترك داخل روحه :

- التسوق عشق المرأة الأول في كل مكان.

توترت حركته على مقعده، تطوف عيناه على طرف الطاولة دون أن تخزن الصور، لم يعد يطيق كبت عشقه، يود أن يحضنها ويبوح لها بمكنون قلبه، ود لو عبر لها عن مشاعره كما يحسها في تلك اللحظة، أن يقول لها : " أحبك، كم تسكنين المشاهد حولي". منعه من ذلك رتابة

حديثها، حركاتها الرزينة رغم الوهج حولها، بقي بينهما حاجز لم يعبره بعد، كادت يده أن تلمس يدها، ونظر لعينيها في حركة لم يقررها :

- أشاركك عشقك هذا المساء، نذهب للسوق تختارين لي لباساً وأختار لك آخر.

وقف أمام أحد المراكز المشهورة، دخلت معه من باب المركز كأنها تدخل أحداث قصة خيالية وتمشي جانب أميرها الوسيم، تتولد داخلها طاقة تلامس قلبها بنعومة ودلال، لم تغادرهما الابتسامة، يقلبان معاً القمصان بألوانها المتعددة كأنهما يتصفحان لوحات شاعرية، كل ما حولهما يشعرهما بالمرح، تعتق خطواتهما بوح الغرام.

اختارت له قميصاً سماوياً، وتي شيرت أبيض، استعرض أمامه فستان ليموني غير طويل أمسكه حول صدره :

- سيشتعل اللون غيرة لو رآك فيه أحد غيري .

وقف بسيارته أمام شقته الواقعة في الدور الثاني لبناية من ثلاثة أدوار مغطاة بالرخام الأبيض .

طلب منها النزول، رفضت بشدة :

- لا، لا تحاول إقناعي بالنزول، لن أفعل أبداً.

قهقه ضاحكاً تستلقي عيناه باسترخاء تحت جفونه :

- لا تخفي لن أضعك في كيس وأرميك ؟

هذا المساء تعرت المشاعر بينهما، نقلتهما بعيداً، ودت لو تقول: " أنا لا أثق بنفسي معك ".

- كل ما أريده أن تصافحي مسكني، وتواكب عيناك ألبوم صوري.

- من غير المسموح دخول النساء لشقة عازب !

- لا تهتمي، هنا سكن عائلي، يزورني أبنائي، وابنتي في الجامعة تمضي بعض الأيام عندي .

- سيثير الشك حضوري في هذه الساعة لشقتك .

- لم أعد أهتم أمل." بدأ يغني ". لو يقولوا عننا مهما يقولوا من كلام الناس ماكنا درينا." يضحك "

- كأنك مراهق ! لو فاجأتنا الهيئة ماراح تغني .

- تعالي، إذا جو يحلها حلال .

فوجئت بيدها تفتح باب السيارة تحادث روحها : " هل أمر بانفصام شخصية، أرفض وأقبل، ماذا سيحدث " ؟

أول مرة يحضنهما مصعد بمساحته الصغيرة وحدهما، يصمت كل شيء كأنهما على مسرح ينتظر الأدوار، تشعر بعد ثبات المصعد من ارتباكها في انتظار نتيجة دعوته الغامضة. لم يقترح عليها خلع عباءتها، إلا أن أنفاسهما تلتقي بعيداً وترسل الشرر .

تتسجم الفخامة بين أرضية الرخام وتوزيع الإضاءة مع غرفة جلوس تسع سبعة أشخاص، لونها موف قاتم يفسح غموضها لوحة كبيرة لفتاة جميلة بشعر كستنائي تبدو

لفنان فرنسي من العصور الوسطى. تتوزع أشجار الزينة الطبيعية في الزاوية والممر، خرجت من نداءات الحذر:

- يا للجمال، أشعر بذوق أنثى ؟

رد ساخراً:

- كل ما تشاهدين من اختياري فقط .

حرر رأسه من "الشماغ " واتضحت جوانب فكه الحاد مما زاده وسامه رغم شعر رأسه الخفيف .

تقدم منها لم يبق سوى خطوة واحدة لتكون بين ذراعيه، توقف فجأة ودار مسرعاً كأنه يوشوشها من بعيد وهو يلتفت إليها :

- ماذا تشربين، تعالي أريك مطبخي الصغير.

يبدو المطبخ كقطعة ديكور يكمل جمال الشقة، أرففه خشبية بلون بني محروق لامع. في الوسط طاولة من الرخام الأسود حولها كرسيان بساق طويلة.

فتح الثلاجة، كانت مرتبة بأناقة الأغراض داخل علب، خالية من الأكياس المعقودة كما تمتلئ بها ثلاجة منزلها، ترك الباب مفتوحاً وذهب لإحضار كأسين من الدرج المقابل، أصبحت تقف بينه وبين الثلاجة دون أن تعي ذلك وهي تقول :

- أثاث منزلك يستعرض زاوية من شخصيتك .

ابتسم :

- ما هي ؟.

- شخصية منظمة، أفكارك تخضع لأولويات في التنفيذ .

- ماذا عن قلبي ؟

غادرت نظراته :

- لا أفهم في القلوب .

اقترب منها حتى شمت رائحة جسده تختلط برائحة سجائره وعطره المفضل بلحن مشتعل، كأنها تغرق داخله تهطل نظراته في عينيها ، رقت نظرته بابتسامة ، مد يده يأخذ علبة العصير من باب الثلاجة المفتوح خلفها أصبحت في الوسط، كتفها يكاد يلامس صدره وهو يدنيه لأخذ علبة العصير، سكبه في كأس كريستال وسكب له آخر. تناول عطراً على الطاولة، ومضيا لغرفة الجلوس واضعاً كأسي العصير على الطاولة ماداً إحدى ذراعيه أمامها برقة يمنعها من الجلوس والآخر يرش العطر قبل جلوسها ، وهي بين مساحة ذراعية ساكنة، مطيعة، تكاد تبادر في حضنه، أبعد ذراعه يفسح لها مجال الجلوس:

- تذكري صوري ورائحة عطري .

جلس على مقعد آخر جانب مقعدها وهي لم تخرج بعد من نطاق ذراعيه، صوته الحنون يزيدها شوقا ويمضي بها بعيداً عن الصور، أخذت وقتاً قبل أن تعود لعالمه، يستعرض صوراً عن طفولته ودراسته وسفره. حكى لها القليل من حكاياته في الصور ثم ذكرها بوقت العودة لمنزلها.

لم تفهم سلوكه، هل أشعرته بالملل! نظرت إليه يقود السيارة، تواصلت روحها مع يقينها دون أن تجرؤ على خطابه، ارتخت عيناها مع تنهيدة خافتة: " ليت لك قلباً جاهلياً لا يؤمن بالنبوءات، وأنا غجرية تتسكع بغنج على ضفاف حبك. ترشقني بالوله وأعدك برشفات الغرام ".

تنهدت، فتح المسجل على أغنية محمد عبده "هذا المسا للحب ..

" هل وصله حنيني ! "

وصلت دارها الخالي متوترة، رمت حقيبتها على السرير، وقفت أمام دولاب ملابسها، ارتدت قميص نوم قصير. نظرت لجسدها في المرآة وهزت رأسها برضا، التقت عيناها وفوجئت بملامح وجهها الكدرة !



يجتمع فارس مع أصحابه بعض المرات في ملحق المنزل، دفعها هاجس مخيف للتلصص عليهم بعد أن ملأت رأسها نظراته التائهة وعيناه الحمراوان في الأيام الأخيرة، طرقت الباب، شاه وجهه، ورائحة دخان كريهة يعج بها المكان :

- أعددت كعكاً اليوم، هل احضره لكم ؟
- لا، شكراً لا رغبة لنا في ذلك .

أغلق الباب ووقفت متسمرة في مكانها، لم يكن يشرب الخمر، ما هذه الرائحة الغريبة !

أطفأت الأنوار الخارجية وتلصصت عليهم من زاوية النافذة، أوراق بيضاء صغيرة على الأرض بحجم ورق سيجار مفرغ، أصحابه الثلاثة بينهم صديقه المفضل ماجد، اثنان يسترخيان منفعلين بجوهم الخادر، يمدان أرجلهما فوق الجلسة الأرضية، يضحكان نسق تخيلاتهم الخاصة.

وماجد يثني ورقة يضع عليها قطعة كالصلصال يلصقها في سيجارته، يتناول بعضها ويناول فارس الجزء الأخير منها.

تقطعت أنفاسها لهذا المنظر " هل هو حشيش أم نوع آخر من المخدرات " ؟

تذكرت مطويات دعايات بورق صغير تملأ غرفة فارس، يا الهي منذ متى وهو على هذه الحال !!

شعرت بالضعف، تضرب على وجهها بكفيها:

- ماذا أفعل ؟ أطردهم وهم في هذه الحالة ! رحماك ربي.

جرت قدميها داخل المنزل تجر الهزيمة.

أفاق فارس متأخراً اليوم التالي، شعره منكوش رغم نعومته، لم يستحم كما يبدو من رائحته، انتهى من تناول إفطاره، دعته للحديث في غرفته.

لم تعنها أعصابها المنهكة على تمهيد مناسب كما خططت مسبقاً، صارحته بما رأت، وانفعلت مشاعرها ببكاء كطفل صغير يستحق الرحمة !

يجلس على سريره يشبك أصابعه لم تغادر عيناه موطئ قدميه، يشل حركته بكاء والدته .

بعد أن هدأت سألته :

- ماذا تفعل بنفسك ؟ هل نحن السبب ؟

- أمي لا تخافي، الحشيش لا يؤذي كما تتصورين !

- ماذا !لا يؤذي ! إنه يؤثر على جهازك العصبي بشكل مباشر. يرخي الطموح ويبقيك بين عجاج السجائر .

- لا لا ، تأثيره وقتي فقط، أهم شيء أمتنع عنه قبل سن الخامسة والثلاثين، تتجدد الخلايا وأستعيد طاقتي من جديد .

استوطنت أفكاره رأسه دون قبول أي رأي آخر، صد محاولاتها في إقناعه بخطورة الحشيش. يجتر قناعته من مشاهداته الخاصة وسط بيئة تفتقد الوعي والإرشاد، وتحفر النهايات السريعة .



- سأشارك في استضافة وفد طبي أمريكي لمخيم صحراوي "طلال خلال محادثاتهم الصباحية في الجوال ".

- تستضيفون وفداً أمريكياً في الصحراء !

- ماذا لو علمتِ أنهم من طلب ذلك من إدارة المستشفى؟

- أجواء الربيع لا تقاوم في صحراء النفود.

- وكلتني الإدارة مع مجموعة من الزملاء لمهمة استقبالهم في مخيم يقام هناك، ستحضرين معي .

جرأة طلال نبتة تورق شرفة لجوء بظل الياسمين، تقبل حديثه بأي شكل دون مواربة :

- أمل، لن تتخيلي كيف هيمنت صورتك على تفاصيل هذه الضيافة، كم أتمنى حضورك .

طلب منها التفكير والرد غداً .

عاد زوجها من عمله، يطلب تقديم طعامه، يطرق الباب بقوة على فارس، يدعوها للفراش بعد أن تجشأ وغسل يديه. رمت نفسها في أرض معركته، تصارع فكرة هجره في تلك اللحظة حتى انتهى منها، جمعت طاقتها من جديد وشدت غطاء السرير على جسدها :

- سأحضر بعد غد مؤتمراً في قاعة الأمير سلمان، حيث تقام وجبة الغداء وقد أتأخر إلى المساء .

لم يعارض طلبها بعد أن انقلب على جنبه وبدأ يرخي بطنه مصدراً رائحة جعلتها تهرب من الفراش منطلقة للحمام تفضل الاستحمام على النوم في هذه الأجواء الخانقة.

غادرها النوم تلك الليلة، تحضن جسدها: " الحب كائن حر ؟ لو قبل التفاوض لركنته مع رماد صبا وأحلام استتابت !

نفضت أفكارها ونهضت من فراشها متجهة لمقعدها في صالة الجلوس، سمعت الريح تنتفض على النافذة بعواء مخيف، لم تحرك ساكناً: " يتبرأ مني الحنين، كم أقسو على نفسي وأمنعها من ممارسة هواها".

عادت لفراشها، دوى صوت الرعد، حضنت طرف بطانيتها، غفت وسط كابوس صبية تشبهها تمضي بعيداً تأخذ معها زمناً لا يقبل منحها القليل من الوقت !

ترددت كثيراً قبل أن ترد على اتصال طلال، ما أن أجابت وسمعت صوته حتى وافقت على مرافقته :

- أنتظرك عند مركز الأمير سلمان تمام الساعة التاسعة .

شق عليها ذلك الصباح، ماذا ترتدي :

- يا للغباء، كيف لم أفكر بشراء رداء مناسب ! هل أذهب ؟

احتارت تقلب ملابسها كادت تتراجع عن الذهاب، وقعت عيناها على تايير طويل من الموهير بلون السماء الصافية مع قميص حريري بلون تلال الصحراء لم ترتده سوى مرة واحدة، شدته أمامها فترة من الوقت تتأمله، قررت ارتداءه أخيراً.

أقلت لحظة السكون وهي تنزل من سيارة طلال عند المخيم أمام مجموعة من الأجانب والعرب، وصلوا في وقت متقارب يقفون على شكل مجموعات يتصافحون ويرحبون ببعضهم.

تمشي جانب طلال تشعر بالغربة والرهبة، تتمنى العودة للسيارة تنتظره حتى ينتهي كل شيء.

طلب منها نزع عباءتها، شدتها على جسدها بقوة علامة رفض دون أن تنطق بكلمة، نظر للجهة الأخرى دون أي تعليق.

المخيم مكون من أربع خيمات، الخيام الكبيرة إحداها للجلوس، جزء منها جلسات رفيعة متصلة مع بعضها والجزء الآخر جلسة أرضية حول موقد الحطب، وعامل يعد القهوة العربية مع آخر يدور بالتمر والمعمول والحلويات العربية، إضافة إلى صواني أخرى بأنواع الشوكولاته.

الخيمة الأخرى مؤثثة بطاولات لتقديم الطعام، وخيمتان أصغر حجماً، إحداهما مطبخ لتجهيز المشروبات والأخرى للاسترخاء ووضع الأغراض الخاصة بالضيوف.

جلس الرجال دون تخطيط في الجلسة الأرضية. عشرة من الفريق الطبي الأمريكي وستة من بلاد عربية إضافة إلى خمسة سعوديين دون طلال، السيدات في الجهة الرفيعة المقابلة لهم بنفس العدد إلا أن السعوديات هي وواحدة أخرى فقط .

لم يرتد العباءة سواها ، السعودية الأخرى دكتورة لم تعطها اهتماماً يذكر، تبدو من الحجاز في حدود الثلاثين من عمرها ، ترتدي بدلة أنيقة رمادية بياقة واكسسوار وردي.

بقيت صامته لا تعرف أحداً ولم يتحدث معها أحد ، الوجوم يبدو على مظهرها ترتسم الابتسامة على وجوه الجميع سواها ، أتتها إشارة من طلال للخروج كنجدة من السماء .

- كم أشعر بالإحراج، ظننتهم أجانب فقط !

- كل السيدات من خارج الرياض، أما الرجال لن يعرفك منهم أحد.

بدأت تنظر ليديها وتفركهما بقلق :

- أريد العودة .

اقترب منها والشمس تطل خلف الغيوم تضيء أشعتها وهج الجمال، أدنى حجابها وانتثر شعرها الناعم على كتفيها : كم تبدين فاتنة ، وأنت بينهم أقاوم نداء قلبي كأني أراك أول مرة

- أرجوك طلال لم أعتد هذه التجمعات .

- أعددته بنفس تموج لهفة لاستقبالك، لا شيء سواك .

- المكان رائع، إن أردت مكثت لأجلك .

أحاطتها نظرته العميقة وعيناها تدنوان للأسفل، رياح الجنوب الدافئة تهب برائحة الأقحوان :

- انتظريني سأعود حالاً.

دخل طلال دقائق ثم خرج مع أحد رفاقه المحليين، بادره حديثاً بصوت خافت، رفع رفيقه نظره إليها في لحظة جعلتها ترتجف تود لو تختفي عن أنظارهم جميعاً.

دعاها للسيارة والمرأة السعودية تخرج برفقة ضيفة عربية من الخيمة نظرتها تتبئ بوشوشات ترمي الأقاويل .

ركبا السيارة ومضيا عائدين إلى الرياض في مسافة تبعد خمسين كيلو متر كأنها دقائق .

كأنه الفرج بعد انطلاق السيارة، تتلو يده قصيدة اللهفة على يدها طوال الطريق. مشاهد التلال مثل فرقة يصفف الريح شعرها الناعم، تعطرها الخزامى ويشدو لها السمر .

- إلى أين ؟

- إلى شقتي نتناول الغداء ثم أعيدك للمنزل .

- لكن ..

- لا يزال الوقت باكراً، الساعة الحادية عشرة، سأطهو لك طبقي المفضل.

- ماذا !

- دعينا نفر من سذاجة اعتدناها ، تحرري من كل شيء سوانا." ابتسم تتقاطع أسنانه البيضاء مع بشرته الحنطية وقلبها يذوب بينهما شعرت بهدوء دعاها للموافقة ".

ما أن دخلت شقته حتى لمس كتفها برقة للمرة الأولى :

- أشعر بحس مرهف، مترف، كأني اليوم مدلل السماء .

ابتلت شفتاها بطراوة حديثه، بدأت رهبتها تشتعل من عنفوانه الآسر.

لهيب خطواتها الهاربة شده لها .

وضع غترته على طاوله جانبية في صالة الجلوس وهي تخلع عباءتها على الطاولة الموازية دون أن يطلب منها ذلك .

يقف كل منهما بشكل موارب للآخر. ما أن اعتدلت وقفتهما ، بينهما طاولة صغيرة حتى هرب الكلام .

لم تتحرر من عباءتها أمامه من قبل، رغم لباسها الطويل، ود لو يدعوها للجلوس ويقدم لها مشروباً ، لكنه لم يتمكن من النطق .

اقترب منها ، هربت أي طاقة تمكنه من الابتعاد ، كأنما تتابع المواقف يسمح بالمزيد ، أراد أن يسقي ظمأه بكلام لطيف .

تنظر إليه وقد سلمت أمرها له. مد يده يزيح خصلات تطفلت على وجنتيها. ما أن لامست يده وجنتها حتى انفجرت براكين شغفها، أغمضت عينيها، تدفقت مشاعر الوله والرغبة، شدتهما لمساحة لم يطأها سواهما، خفقات قلبيهما العنيفة تنتشي لأقدار بعيدة، اقتربت شفتاه من وجنتها ببطء حتى غرقا في عناق مخبول، طاغ، كعاصفة بلا ملامح.

لم يفيقا من غمرة الهوى بسرعة، لا يعرفان كم مضى من الوقت.

نصبت روحها منصة تحاكم ذاتها العاشقة، تطوي لحظات شبقها وتفرد سقم الحساب.

رفع رأسه ينظر إليها وهي تعدل رداءها في نية المغادرة، ذراعه تسند جسده الممتد على الأريكة ويده الأخرى تمسح على رأسه:

- حبيبتي سأعد الطعام الآن.
- أرجوك أعدني.
- أطلقي هذا اليوم من ذاكرتك وابقي معي، ابقي حتى السادسة كما اتفقنا، لن نتأخر دقيقة واحدة.

لم تعتد استهلال المواقف الصاخبة بثبات، تتضارب داخلها قيم ورغبات وأوامر تعيقها، قد يفني العمر قبل أن تعرف قرارها الآمن:

- لا يمكنني البقاء." ردت بشكل لا يقبل التفاوض".

جلست جانبه تشعر كأنها لحظة آفلة بين طيات كتاب قديم، لم تمكنه إشاراتها الصامتة من أن يشدو غرامه. كأن ما حدث بينهما مشهد قامت بجزه دون أن تسمح بأي إضافة.

طاقتها القوية غلبت تدفقه الغامر، ألهمته لحظاته معها طاقة عشق لم يعتدها، تولدت في خاطره آلاف الحكايات والطرائف، تواصله مع رغباته يثري روحه، ليتها ترضى !

تجاوز رهبته قبل نزولها :

- حقيقة لن يعرفها الوشاة .. أحبك، التقت روحانا في عالم كبير، لا تبعدينا من جديد.

سكبت عبارته على روحها وشاح سلام جعلت أنفاسها تحف لحن سكينة.

ما أن فتحت باب السيارة حتى هب عويل مدينة مخمورة تسمعها وحيدة.

كان السائق ينتظرها على غير العادة، عودته أن تهاتفه ليحضر. لمحت شرر ختلها دون أن توليه اهتماماً!

- مين هدا نفر انت روح سوا سوا !

أذهلتها ملاحظة السائق المريبة، ردت بغضب يداري فزعها :

- هذي سيارة شغل في وزارة، كيف تفكر انت !

- هذا نفر سعودي، أنا شوف ثاني مرة انت روح سوا سوا.

- انت هنا سواق، تتكلم على مدام كلام مو كويس تروح للهند على طول ولا ترجع ثانية.

صمت دون أن يوليها نواياه .

دخلت منزلها متسللة تهرب من عيون لا تجدها ، طفق شعور لم تفك معناه أبعدها عن غرفتها ، استحمت ولبست لباس نوم رث، تشعر بالغثيان، قررت النوم في غرفة سمر، استلقت على السرير عيناها شاخصتان دون أي تعبير تنظر للسقف وقد توقفت كل الأفكار والمشاعر كأن روحها بقيت عند باب المنزل .

لم يحضر راشد إلا الصباح بعد سهرته ليجدها محمومة تهذي.

أطل عليها ابنها فارس وهي مستلقية على الفراش تحضنها لمى وتمارس معها طقوس التطبيب. ابتسمت لفارس، نظر إليها بصمت وخرج. شدت غطاء سريرها " هل علم بخروجي مع طلال !

بدأت تختالها خيالات غريبة ، طوال الوقت تنفض رأسها تتأكد من صحة ذلك .

في تلك الليلة كان فارس خارج المنزل، خرجت من غرفة ابنتها لتشرب الماء من ثلاجة غرفتها ، رأت فارس يصعد السلالم باتجاه غرفة الخادمة :

- فارس .

لم يرد عليها أو يلتفت لها، تبعته بسرعة، ما أن وصلت الدور العلوي حتى فقدت أثره، طرقت باب الخادمة، فتحت ميري الباب وعيناها منتفختان من أثر النوم :

- وين فارس؟

- مافيه شوف مدام !

نزلت لسرير ابنتها ونامت دون أن تروي عطشها في اليوم التالي لم تدعها لمى دقيقة واحدة :

- مرضت كثير ماما " لمى والحروف تصطدم في شفتيها الصغيرتين باهتمام .

ركضت تحضر غطاء فراشها الناعم المفضل، مدته على والدتها، ووضعت لها كمادات من مناديل مغمسة في الماء " ايش اجيب لك ماما؟ أدلك راسك ".

بدأت يداها الصغيرتان تعبثان بفروة رأس والدتها، تضغط أصابعها الدقيقة الباردة قشرة الرأس الساخن، أرسل ذلك سكينة غريبة وصغيرتها تعتني بها، وضعت رأسها في حضن ابنتها :

- أريدك أن تكوني أمي دائماً .

لم ترد على اتصالات طلال طوال يومين، تنظر لجوالها بعد وضعه على الصامت، طلال يواصل اتصالاته، تمنت أن هذه العلاقة لم تحدث في لحظة، تضاربت القيم والموبقات داخل رأسها، انشل فكرها أمام رؤى جديدة، تود الثبات على سلوك اعتادته أكثر من ثماني عشرة سنة مع زوجها،

مما يمنحها توافق مع رأي الجماعة الظاهر حتى تتخلص من محاكمة ذاتها الصارمة .

لكل فرد في الجماعات حولها رغبة أخرى وحاجة لم تشبعها هذه القيم السائدة، ربما يمارس كل منهم أدوراه الخاصة في الخفاء، مما يشعره بشكل غريب انه متوافق مع الجماعة ولم ينس نفسه !

تراقب عيناها اتصالاته تقاوم يديها الرد على الجوال أصبحت مرتبكة لم تعد تعرف ماذا تريد، لو ينتهي كل هذا، لو تعود أمل الصابرة .. لن تتذمر .. لن تتذمر !



استعادت نشاطها بعد يومين وعادت للعمل من جديد، شاكستها نسمة ترفرف حول حجابها الحريري، تمشي على الرصيف باتجاه موقف سيارتها المعتاد بعد انتهاء وقت العمل في المركز، غمزت لها أشعة الشمس خلف السحاب في لحظة لمست ذراعها يد من الخلف وهي تقف في زاوية تخفيها شجرة كبيرة، التفتت مذهولة بعيني طلال العاتبة :

لم أظن أن تعامليني بهذه الطريقة في يوم ما !

عجزت عن الرد، لم تعرف كيف ترد، ولا ماذا تريد أن تقول !

- لماذا لم تردي على اتصالاتي ؟

استمر صمتها، بدأ يفقد صبره :

- ماذا حدث ؟ أجيبيني ؟

بدأ صوته يعلو وهي مستمرة في صمتها وخروج الموظفات من المبنى في ازدياد :

- توقف، أنت تحرجني هكذا !

لا أسمح لك أن ترسميني لهفة صاخبة في يوم وتمسحيها في اليوم التالي! من حقي أن أعرف لماذا تعامليني بهذه الطريقة، هيا قولي، لسنا صغاراً !

- أرجوك، لابد أن تفهمني، لا أستطيع الاستمرار .

- الذي حدث لم أخطط له صدقيني، لا أعرف كيف بدأ !

- لهذا يجب التوقف. أعذرني طلال .

- أحبك، لا أريد فقدك، لن أتجاوز حدودي أعدك .

- لا يمكنني المواصلة أرجوك .

نظر إليها دون أن يتمكن من معرفة حقيقة أكيدة، قال بسخرية :

- أرجو أن أكون تجربة جميلة، أنت من بدأها وقام بإنهائها !

غادرها يلوح الهواء بثوبه الأبيض على جسده النحيل، تنظر إليه كبلهاء لا تعرف كيف تتصرف، كل ما تعرفه أن جمودها يشعرها بالأمان .

يمر اليوم ببطء يوقف الأنفاس، يرافقها طيفه في كل لحظة، تتخيل وجوده وتحدثه بعض المرات بصوت مسموع، ثم تفيق وتلتفت حولها لتجد ابنتها لمى تنظر لها باستغراب.

تريد أن تحكي، لمن ؟:" ألا صديقة تقبلني بذنوبي ".

ذهبت لوالدتها في اليوم التالي، منزل والدتها الكبير مركز لقاء إخوتها كل يوم خميس. حضنت والدتها بقوة كأنما تختبئ داخلها، لم تعتد والدتها حضنها :

- ما بك " أمل " سلامات .

- لاشيء مشتاقة لك .

كشَف وجهها الباهت وعيناها الزائغتان حسرتها، وهي تجلس أمام شاشة التلفزيون :

- لم تحسني صنعاً " أمل "، اكتفيت بسمر وفارس ولمى، الأطفال هم السعادة الحقيقية.

ابتسمت بسخرية " ليتها لم تظلمهم بإنجابهم ".

رغم حياة والدتها الرتيبة مع والدها قبل وفاته إلا أنها تنتظر لقاءه في الجنة بأبهى حلة. بات تواصلها مع إخوتها الأولاد رسمي في الأعياد والمناسبات بعد زواجهم وانتقالهم لأعمالهم !.

أخواتها الخمس يسايرن الحياة ويقبلن نظريات والدتهن، أختها "منى "الأكبر منها مباشرة متزوجة ولديها

ستة من الأبناء تطبق نظرية والدتها في الحياة، دخلت بجسدها الممتلئ تلقي النكت الساخرة على كل المواقف، تبدو سعيدة دائماً .

لديها ثلاث بنات وثلاثة من الذكور أكبرهم يدرس في الجامعة، تعمل مدرسة ابتدائي .

ضج المكان بهم، بدأت منى تمارس أساليب انتقادها المبطن لأمل لأنها امتنعت مؤخراً عن حضور المناسبات الاجتماعية :

- الكل يسأل عنك، الانطواء دليل علة، وأنت لا ينقصك شيء !

حملتها مسؤولية فشل ابنها فارس في تحصيل مجموع مناسب، وعدم تواصل ابنتها سمر معهم يوم الخميس، هذه الانتقادات تزيدها شعوراً بالوحدة بينهم في وقت تطلب فيه الملاذ.

انتشلت أمل روحها باتصال وهمي لفارس :

- إنه متعب يعاني من نزلة معوية "هربت من منزل والدتها".

صعدت سيارة السائق دون أن تطيق رائحة شعره المدهون بزيت نفاذ تأملها :

" ما سبب سعادة أختها "منى" هل هي نظرية والدتها أم زوج يمارس حياته بابتسام ويقبل الأخطاء بلطف، يشعرها بسكينة حتى ولو عبر عن استيائه !

هدوء المنزل أشعرها بالطمأنينة، بدلت ملابسها وارتدت بيجامة نومها المعهودة، لباسها داخل المنزل لا يتعدى ثلاث بيجامات تتشابه في أشكالها، مصنوعة من القطن الناعم فقدت لونها من تكرار الغسيل.

- ألم تذهبي لوالدتك !

فاجأها قادماً من سهرته مبكراً، تخلو رائحته من الكحول .

- شعرت بالإرهاق وعدت للمنزل .

أشار لها أنه يريدها في الفراش، كشرت ملامحها غاضبة، كيف تلتقط روحها الهاوية لتمارس معه الجنس !

- قلت لك مرهقة حتى أني لم أبق في اجتماع أهلي .

- لا استغرب حضورك، دائماً تملين منهم وتبحثين عن الأعذار.

يقيم تسامحها مقصلة الفرح على السرير، لا يصل لذروته ولا تجرؤ على منعه أو رفض طلبه، كأنه يقين لا مفر منه تجيب طلبه ليمر اليوم بهدوء !

لمت رداءها بعد انتهائه منها وانزوت في طرف السرير:

" كيف يعاملني بهذه الطريقة، يظن الجنس حقاً يؤديه في أي وقت شاء، حتى لو لم يكن لديه رغبة، أحياناً يمارس سلطته فقط دون روح، يزيدني ذلك حنقاً وبعداً.

تذكرت تعليق صديقتها على تذمرها من رائحة زوجها " لو كنت تحبينه لقبلت رائحته أو أعنته ليكون كما تريدين" .



في صباح يوم تكاد تتجمد فيها موجات الاتصال ارتخت أسلاك الهاتف من حرارة بكاء والدة ماجد صديق ابنها :

- مر يومان لم يعد للمنزل،لا نعرف له مكاناً، هاتفت جميع أصدقائه دون جدوى، ربما يكون لدى فارس أي خبر، اسأليه أرجوك .

- كان فارس نائماً بعد عودته المتأخرة. ما أن سمع اسم ماجد حتى أفاق مفزوعاً وذكر لوالدته وصف مزرعة على طريق القصيم اجتمعوا فيها مؤخراً بعد أن عرفه فارس على صديق له هناك .

نهض من فراشه، انتظرته والدته في الصالة حتى خرج متجهاً للبحث عنه :

- لقد حذرتك من ماجد، لا تزال ترافقه حتى الآن !

- كل ما هناك أنه يواجه صعوبة تأقلم مع توجيهات والده الصارمة منذ طلاق والدته وزواجها من آخر، يذهب لوالدته كلما عادت من سفرها المستمر مع زوجها، يطرده من المنزل إذا شم رائحة الدخان في ملابسه .

قالت بألم :

- أعرف أنه يمر بألم فراق والديه، إلا أن ذلك ليس مبرراً لأن تصحبه حتى في فساده .

- أمي، تظنين السوء دائماً !

غادر المكان يطارده صوتها :

- انتبه لنفسك .



خرج ماجد حانقاً في ليلة شتائية لا يدري أين يذهب بعد مجادلة صاخبة مع والده، الوقت متأخر لزيارة الأصحاب، اتجه بسيارته لمزرعة صديقه الجديد، الظلام دامس وهبوب الرياح الشمالية يعصف بالمكان، المزرعة خالية من أصحابها لا يسمع سوى نباح الكلاب، شعر بالخوف واتصل على سليم الحارس الباكستاني :

- هل تقبل صحبتي سليم ؟

تعرف عليه ماجد عند زيارة باسل ابن صاحب المزرعة، كان يجهز لهم غرفة استقبال خاصة، فارس الصديق المقرب لباسل، أعطاه صلاحيات كاملة لاستخدام المزرعة وفارس نقل هذا الشعور لرفيقه ماجد.

لا يكاد يرى وجهِ الباكستاني من كثافة لحيته وشاربه، جسده مفتول وعريض، يلف وشاحه الصوفي حول جسده، غرفته الصغيرة جانب البوابة، أشعل موقد الغاز لصنع الشاي :

- سليم لا أريد شاياً، ألم يبق شيء من " بلاط " الحشيش الذي يوزعه صاحبك ؟

- لقد نفذ خلال أسبوع .

- أرجوك رأسي سينفجر أعطني أي شيء وأعطيك النقود غداً .

- لا أحب السلف، تعرفني .

الحكة تزداد في جسد ماجد النحيل :

- ماذا وضعتم في النوع الأخير لم أعد أقاوم أي تأخير !

- لا تخف سأوفره لك متى شئت .

زادت حاجة ماجد للمخدرات مع انفعاله وبدأت يده تهرش جسده :

- ناولني ولو القليل منه وأعطيك ما تشاء، أرجوك .

بدأ الجدل بينهما وماجد يرجوه أن ينقذه بأي شكل. وضع سليم مسحوق المخدر على يده واقترب سمن ماجد يقبله ويسمح له أن يشم، ماجد يرجوه أن يبتعد عنه حتى أخذه المخدر لظلام بشع وسليم يجره للفراش .

لم يهنأ بنومه، تواريه خيالات مخيفة. بدأ يصرخ قبل بزوغ النهار مفزوعاً ، خرج هارباً من غرفة الحارس دون أن يكمل رداءه كأن أحداً يطارده، تتلبسه خيالات رجل مع ساطور يلحق به لقتله.

لم يستطع سليم الإمساك به، ما أن خرج ماجد من نطاق المزرعة حتى عاد سليم أدراجه .

طرق عليه فارس الباب وهو يجهز إفطاره، سأله عن ماجد ، هز رأسه منكراً وجوده، لاحظ فارس حذاء يخص ماركة أحذية مفضلة عند ماجد ملقاه على الأرض، التقت عيناه بعيني سليم الحمراء خرج مسرعاً دون أن يجرأ على سؤاله .

أسرع باتجاه أول مركز للشرطة وبلغ عن اختفاء صديقه متهماً بالباكستاني سليم .

بعد التحقيق والبحث وجد ماجد جامداً في سفح تل غير بعيد عن المزرعة وقد فاقت روحه من قوة المورفين والبرد على جسده الضعيف بعد سقوطه العنيف على حافة صخرية .

وفاة ماجد أثرت بقوة على فارس، لازم المنزل والصلاة في المسجد، تعرف على إمام المسجد "عبدالله" شجعه على حفظ القرآن، يبكي فارس بين يديه يواسيه ويعظه ويبشره بالخير كلما حفظ جزء من القرآن، أصبح الشيخ عبدالله يغنيه عن أمه وأبيه وكل الناس، بدأ يشارك في الدعوات الخيرية، وينصح والدته بعدم التبرج وإبداء الزينة، لا يمل من نصح والده بترك الخمر مما أجج النزاع من جديد بين والديه :

- لديه قيمة يدافع عنها، هل يعجبك ضياعه السابق !
- قولي له أن يكف عن محاضراته لي وإلا نتفت لحيته بيدي هاتين.

جلست على مقعدها تنظر أمامها بلا هدف " أعيش التطرف دون أن أجد ملاذاً آمناً، زوجي، ابني .. وأنا !



أرسلت له "مسج" معايدة لعيد الأضحى " كل عام وأنت بخير".

لم يرد طلال على تهنئتها، أرسلت ايميل دون جدوى .. هاتفته في لحظة شجن من جوال برقم جديد لم يعرفه .. رد :

- الو
- مللت التحليق وحدي بلا طائر ..
- ..
- الأوقات بدونك لا تحسب .. ظللت وحدي .. لا أحد يفتقدني .. يظنون أني بينهم .. يخدعهم جسدي .. اعتادوا غيابي ..
- ..
- أنتزع نفسي من فوضى أحاول ترتيبها وتزيدني بعثرة .. ساعدني !
- ..
- تزداد الفواصل بين روحي وقلبي وجسدي طلال .
- ..

طال صمته :

- لن أمل وقتاً مؤلماً قد يأتي بك .. إلى اللقاء .

تهاتفه كل يوم تحاكيها أنفاسه الخافتة بلا صوت :

- أعدك أن أبني مدينتي الخاصة بلا قيود معك .
- ..
- لا يصل صدرك الخاوي ندائي، أظل وحدي مع سماعة ربما تضعها على مكتبك .. لن أقول وداعاً .

أقفلت جوالها .



في غمرةٍ تلفتها يمنة ويسرة وهي تخرج من مركز العمل سمعت صوتاً يناديها أشعل الدفء:

- طلال !
- بوحك حملني إليك .
- ..
- سلطت صديقي الضابط على السائق تعالي معي .
- ولكن ..
- ماذا لقد ألهمتني الحضور، هل بدلت رأيك ؟
- لا لكن الوقت غير مناسب .. وأنا لست بحال جيدة .
- تعالي كما أنت، سأكون مهذباً " أخذ يضحك".
- لا لا يمكنني ذلك .

عادت أدراجها داخل المبنى، تخطو خطوات سريعة تكاد تجري هربا .

وقف ينظر إليها حتى غادره طيفها دون أن يجد أي مبرر لتصرفها .. تحرقه لوعته .

أوصلتها زميلتها في العمل إلى منزلها، نزعت غطاء وجهها ما أن دخلت سور المنزل، تشعر بالاختناق، جلست في مجلس الضيوف تشعر بروحها تكاد تنسل منها " لماذا فعلت ذلك ؟ على قدر حبه يغالبني صده، ماذا أريد ؟

أمسكت الجوال تريد الاتصال والاعتذار، ماذا تقول لابد أنه غاضب الآن .

ربما هذا هو القرار الصحيح أتعب قليلاً ثم أنساه، لا يمكن الاستمرار في هذه العلاقة .. علاقة ! أعرف أنه الحب .. لكن لا يجوز لي ذلك .. لن أسمح .

نهضت بصعوبة كمن تعرضت للضرب بسوط حام، صعدت السلالم لتجد راشد ينتظرها في الصالة، وقف ما أن رآها يرتدي سروالاً قطنياً أبيض طويلاً مع فانيلة بيضاء تتدلى فوق كرشه، تقدم نحوها غاضباً، ضربها بقوة على وجهها ورأسها حتى سقطت ومرت دقائق قبل أن تعي ماذا يحدث .

- أيتها الساقطة، سائقو الحي يتحدثون عن عارك !

- ماذا تقول !

تخرجين مع من ؟ من تصاحبين هذه الأوقات الطويلة !

تمنى لو بدر منها أي دفاع أو إنكار، إلا أن صمتها يثبت التهم. تقدم نحوها يشدها ويرميها ويضربها أصبحت كخرقة بين يديه حتى فقدت وعيها تماماً.

أفاقت على صوت أخيها صالح يحاول إيقاظها ومساعدتها للنهوض وهي ملقاة على أرض صالتها العلوية.

توالت الأحداث سريعة، راشد ينشر سبب طرده لها في رسائل جوال، لم يدع أحداً من عائلتها دون إخباره حتى أبنائها وزوج ابنتها .. نبذها الجميع .

تنام أمل ولمى تناديها في أحلامها، تشعر أنها بين أحضانها كل ليلة تملؤها الدموع، بقيت داخل الغرفة في منزل والدتها أكثر من أسبوع لا أحد يحدثها ولا يطل عليها ولا تجرؤ على الخروج حتى تداعت جميع المشاهد بعد أن طفق خوفها على صغيرتها:

- أرجوكم إنها صغيرة لا ذنب لها !

يرتجف استجداؤها حد أقدامهم دون فائدة وقد غطت فضيحتها رجاء أي غفران.

هاتفت راشد، لا وقت لكرامة ولا مكان لعزة أمام استجداء صغيرتها المتتالي في نومها:

- راشد لمى طفلة تحتاج أمها، إبعادها عني يهدد أمنها ويشتت هناءها.

- لا أستغرب اتصالك، لم يعد لديك ما تحافظين عليه حتى كرامتك.

- كرامتي في الحفاظ على ابنتي.

- كانت بين يديك.

ثمة إحساس غامض انفلت من زاوية في قلب راشد أشعرها أنه لا يزال هناك مساحة للصفح عنها.

- أرجوك راشد لمى تحتاجني أعدها لي.

تغيرت نبرته بوحشية في لحظة:

- أعيدها، هذا كل رجائك ! لن تخرج لمى من هذا المنزل أيتها الساقطة .

تسمع بكاء لمى من بعيد وهو يغلق السماعة وجرح قلبها يفتح جروحاً جديدة .

بعد أن خفت كدماتها بدأ الوقت يطول ويزداد صعوبة. استمرت مقاطعتها دون أن تفكر بالذهاب للعمل.

ذات يوم قبل أن ينزل الظلام وشاحه فوجئت بابنها يدخل الغرفة وهي تجلس على مقعد في آخرها.

ثوبه القصير معلق على قامته النحيفة، تنتشر لحيته الخفيفة حول ذقنه، رائحة المسك تصدر مع حركته يتقدم نحوها ينظر لخطوات قدميه، ضوء الغرفة الخافت يضيف الذبول، قال بصوت جاد :

- يجب أن تستغفري عن وزرك أمي .

رق صوته ما أن قال أمي، أكمل :

- إن أعانني الله اعتمرت وحججت من أجلك ..

لم يتمكن من إكمال حديثة، جثا على ركبتيه قريباً منها يبكي .

انزلقت من مقعدها، حضنته وبكت معه .

أبتعد عنها بعد أن تمالك نفسه :

- لقد اشتركت مع جماعة تدعو لعبادة الله وتجاهد في سبيله ..

لا أعرف إن تمكنت من رؤيتك مرة أخرى .. يجب أن تعلمي أنك مهما فعلت تظلين أمي الحبيبة في قلبي .. سأمضي الوقت استغفر لك وأرجو من الله أن يرحمك .

- ابق معي بني، لا تتركني .
- لا يمكنني البقاء يجب أن أذهب، وداعاً أمي .

كادت روحها تزهق من البكاء في لحظة التقت ابنها وفقدته .



مضت الأيام والوهم يحضن هواجس تشدها للجنون " أنا سبب حرمان لمى، مسكينة هذه الصغيرة كم تتألم وحيدة " .

- الو، سمر أرجوك زوري أختك، أخرجيها للعب خارج المنزل .
- أبي لا يسمح لي بإخراجها من المنزل .

شردت أفكارها بألم " يعلم أنه يعذبني، هذا ما يصبو إليه".

أخيراً وافق عبدالعزيز أخوها الكبير على الذهاب للتفاوض مع راشد بخصوص لمى :

- تعيد الطفلة لامها حتى تكبر وتقرر مصيرها على الأقل .

- هل نسيت حكم الشرع ! والدها من يقوم بولايتها ما أن تكمل السابعة من عمرها .

- تعرف أنها طفلة سكينتها في حضن والدتها .

- كيف أسمح أن تربي ابنتي ساقطة تستحق الرجم !

- أرجو أن تهذب ألفاظك قليلاً ، لا تنسى أنها أختي .

- ألا تخجل من هذا الاعتراف !

كضم غضبه واقفاً : " لولا أولاد أختي كان عرفتك قيمتك".

خرج متجهاً لأخته بمشاعر رأفة لم يشعربها من قبل، اعترفت له أمل :

- تغيرت بعد الذهاب لراشد ، لم تكن تطيق النظر إلي !

- أعرف أن الإنسان جبل على الخطأ ، كلنا نعارك شراً داخلنا ، رغبات تعدنا بالنعيم، كل ما أرجوه أن تعيدي صياغة فكرك من جديد مع قيم ربيت عليها.

- طفلتي لمى كل ما أريد .

- الشرع والقانون معه، لم يبق إلا أن يشفق عليكما !

- لن يفعل، هل رأيتها ؟

نظر للجهة الأخرى، لم يخبرها أنها رمت نفسها في حضنه تبكي تسأله " أين أمي " ثم تقدم منها راشد نظر في

عينيها نظرة تعدها بالويل، يأمرها أن تذهب، مما جعلها تغادر المكان .



تجلس على مقعد هذه الغرفة بدلاً من مقعد منزلها تتهاوى روحها تحت مقعدها ، لم تفكر في طلال كأنه شاركها مأساة ابنتها. دخلت فاصلاً في شخصيتها لم تعتده.

طالما واجهت إحباطها برقي، أكملت تعليمها ، ظلت تطارد رجاء يلوح في أفق بعيد يعدها دائماً بالخلاص.

لم يكن لديها غير ملابس قديمة تتركها فيما مضى عند والدتها وجدتها في الدولاب دون أن يسأل أحد عن حالها.

بدأت ثورة الغضب داخلها ، لم أحاسب زوجي يوماً على سفراته للبحرين ومصر وسهراته حتى الصباح، لماذا يقوم بدور الطاهر أمامي !

لن أسمح باستمرار هذه المهزلة بعد الآن، ارتدت عباءتها لم تعلم والدتها بخروجها من المنزل إلا من صعقة باب الخروج .

مشت بين منازل الحي حتى وصلت إلى طريق عام أوقفت سيارة أجرة متجهة لمنزلها ، لم تلجا لسائق والدتها

وقد وصلتها توجيهات والدتها للسائق بعدم السماح لأمل بصعود السيارة !

طلبت من الليموزين الانتظار. من حسن حظها عدم وجود راشد في المنزل، ابنتها في المدرسة، لم ترد مقابلتها وتجديد الألم في قلب صغيرتها.

أثاث المجلس وغرفة الاستقبال تسبغ معاناتها. تحملت ديون الجمعيات والبنوك لتأثيث المنزل.

نظرت لمقعدها القابع وحيداً، جلست عليه وأخذت تبكي، ماذا نالها من هذا المنزل سوى الحرمان، هاهي تخرج منه مطرودة لا يحق لها أي شيء فيه .

- ميري كيف لمى ؟
- كانت تبكي كثيراً، أخبرها والدها أنك في مكان بعيد تخضعين للعلاج ولا يسمح الطبيب بزيارتك.

ذبل وجهها: " كيفها الآن ؟ ".

- رسمت كثيراً من الصور عن أطباء متوحشين يمنعون الصغار عن أمهاتهم .
- هل علمت سمر بذلك ؟
- سمر تزورها كل يوم وتعرف كل شيء، وقد سمح لها والدها أن تخرج وتبات في منزلها بعض المرات .
- لم تخبرني سمر أي شيء، بماذا تشعر !

دخلت غرفتها ولم تجد أي أثر لأغراضها وملابسها :

- ميري أين ملابسي ؟

- لقد أمرني سيدي برميها ، ولكن قمت بإخفائها في غرفتي، أرجوك لا تخبريه بذلك .

- شكراً ميري أعدك لن أخبره، أحضريها فوراً .

تعاونت مع الخادمة في حمل الأكياس إلى سيارة الليموزين، كانت الخادمة أمينة ناولتها الجوال مع حقيبة نقودها كاملة، أعطتها أمل مائتي ريال وشكرتها كثيراً. صعدت السيارة بصمت مطبق .

سألها السائق :

- إلى أين ؟

لم تكن متأكدة، راودتها فكرة الذهاب إلى شقة طلال سوف يصغي لها بقلب رحيم، تراجعت فوراً وطلبت منه العودة لنفس الطريق .

هاتفت ابنتها فوراً تلتقط الأمل :

- سمر .. لم أظن أن تهجريني مثلهم .

- أمي لقد حذرني زوجي من زيارتك، هل تريدين أن يطلقني .

- سمر، هل تحبينه ؟

- الحب ليس كل شيء. أنظري ماذا حدث لك، تمضين الوقت منبوذة وخاسرة .

- لماذا لا تخبريني عن لمى ؟

- لمى بخير وهي تتحسن الآن، أتابع واجباتها، أنا حامل يا أمي.

شهقت فرحاً، نهض الشوق جارفاً لحضن ابنتها الحامل:

- سمر، مبروك؟ هل أنت بخير؟ لا بد أن أراك، لن اطمئن حتى أراك، زوريني ولو دقيقة يا بنتي.

- زوجي يمنعني، أخبرتك أمي، علمت بحملي منذ شهر.

- لم تخبريني إلا الآن!

لماذا تعاملني سمر بهذه القسوة، كأنها غريبة عني .أنا آخر من يعلم عن حملها، هل تعني أن الحياة تستمر دوني؟ تلغيني لأستمر وحدي؟ كيف تفكر!

تنهدت: "مم أخاف؟ لقد حرروني باسم عاهرة"

استلقت على سريرها تتأمل منظراً معلقاً أمامها، صورة طائر يرقص بجناحيه فوق بحيرة زرقاء ساكنة تعكس صورته، حوله أشجار خضراء تملؤها عيون غريبة تنظر إليه وسط السواد.

عادت صورة طلال كاملة أمام عينيها تحمل شوقها الجارف له:

- طلال.

- لا زلت تذكرين!

- أرجوك أحتاجك.

- أي نثر أنتظره الآن .. أي هوس مخادع ينتظرني هذا المساء ؟

- لقد تعرضت لكثير من الألم، صدقني .

- أرجوك أنا مشغول الآن، لدي رحلة في الغد الباكر ولن أعود قبل يومين، لا وقت لدي، مع السلامة .

أقفل السماعة، نهضت تدور بلا هدف، تشعر بثقل المكان على أنفاسها، أذهب إليه ؟ لن يسمعني سواه، نعم سوف أذهب ما أن يعود .

فتحت خزانتها وللمرة الأولى تفطن إلى رداءة ملابسها، أحضرت كيس زبالة أسود كبير وبدأت ملئه بملابسها الرثة، بيجامات فقدت لونها، قمصان أكل عليها الزمان وشرب، ليتها تختصر الوقت وتغير صورتها الجرداء، نظرت لنفسها في المرآة، شعرها تلفت أطرافه يحتاج إلى تهذيب، أظافرها تحتاج للعناية، تعتني بنفسها سوى في المناسبات، ولم تعد تحضرها مؤخراً:

" ياالهي كيف سمحت بهذا " !

مضى الوقت سريعاً جاء يوم عودته دون أن تلحظ الساعة كانت الحادية عشرة مساء .

لن تجد سيارة تنقلها إليه، لن أعرض نفسي للخطر والسير وسط الأزقة في هذه الساعة من الليل .

استلقت على السرير تتأمل غرفتها كأنها تراها للمرة الأولى، تحتاج إلى تغيير كامل، باب الدولاب مخلوع ومسند، المرآة زواياها متشعبة، خشب السرير والطاولات مقشر، ذكرها ذلك بغرفتها في بيت زوجها، كيف لم تفطن لكل ذلك كيف كانت تعيش !

استرخى رأسها على مخدة شدتها وسط السرير بدلاً من النوم على الطرف كما اعتادت. هدأت روحها أو ربما قررت أن توهم روحها المتعبة ببعض السكينة، استيقظت من نومها وصوت سمر يناديها :

- أمي، أشعر بالتعب، كيف أتصرف، غثيان يقلق راحتي ؟

التفتت حولها تبحث عن ابنتها، فتحت الأنوار، تشعر بوجودها، بحثت عنها داخل دولاب الملابس:

" أين ذهبت أشعر بوجودها، سمر، سمر ".

عادت للعمل دون أي معارضة من أحد، هاتفته في اليوم التالي دون أن يجيب اتصالها، بدأت خطة التغيير. دخلت منزل والدتها للمرة الأولى، تتحدث بثقة :

- سيحضر العمال بعد قليل لحمل أثاث الغرفة القديمة وإبدالها بغرفة جديدة.

اتجهت والـدتها للمطـبخ دون أن تـرد عليهـا ، تكـشف غطاء قدر الأرز تتأكد من نضجه .

استلقت في سـرير غرفتهـا الجديـدة ، اشـتاقت لابنتهـا سمـر في هـذه اللحظـة " ليتهـا ترانـي أعانـد الهزيمـة"، رفـت ذكـرى لمـى وشـعرها الأسـود المنفـوش بخفـة ، أخفـت وجهها بكفيها وبكت .



لم يجـب طـلال اتـصالاتها بعـد عودتـه ، رد أخـيرا بعـد الساعة التاسعة مساء ، قالت :

- سأحضر إليك .
- لا ليس اليوم أصدقائي يملؤون المنزل الآن .

أغلقـت الـسماعة تفكـر " تغـير طـلال . سـابقاً يـترك الدنيا من أجلي ماذا حدث ، لابد أن أراه اليـوم لم أعـد أطيـق صبراً ، سأذهب إليه".

تفاجـأ بهـا يرتـدي بنطـالاً مـع القمـيص الـسماوي الـذي اختارته له ، تحدث معها بعد أن خرج وأوصد الباب :

- ماذا تفعلين هنا ؟
- اشتقت إليك.

قلت لك لا تحضري اليوم .

توقفت مشاعرها أمام خطابه الغريب :

- تود طردي !

رائحة العطور تفوح من الباب الموارب، اقتربت يحاول منعها:

- ماذا تفعلين ؟

لمحت انعكاس طيف سيدات في زجاج الممر، دخلت بجرأة لم تعتدها.

فوجئت بسيدتين سبق أن رأتهما في أحد المؤتمرات يتألقن بجمال تحت لوحة فتاة القرون الوسطى .

مع رجل آخر في المقعد المقابل في عمر طلال، والطاولة تحفل بمشروبات روحية بدأ تأثيرها على ملامحهم المسترخية.

عاودتها جميع صور لقائها معه تصفعها بقوة، لم تلق التحية، أفكارها مشتتة، قدمها لهم طلال والابتسامة تعلو وجوه الجميع :

- أمل أخصائية تعليم خاص .

خرجت بسرعة قبل أن تسمع أي رد ، لحق بها :

- لا تحكمي علي بقسوة أرجوك، مجرد أصدقاء ليس كما تظنين، أمل لم أحب سواك صدقيني.

- نعم لقد فهمت لا تقلق، أتمنى لك سهرة ممتعة .

نزلت من المصعد الكهربائي بشعور لم تفهمه، لم يكن غضباً، ربما رفضاً لواقع رسمت له صورة أجمل !

صدى سؤال يدوي صداه داخل رأسها المقفل:

" ماذا أريد ؟

عن ماذا أبحث ! "

وقفت عند باب منزل والدتها بعد أن غادرت سيارة الأجرة، بدأت تشعر بالتعب والحرارة تتقد في جسدها، تود لو يرغمها أحد على الدخول.

فتحت الباب وبدأت تخطو داخل السور بصعوبة، متجهة للباب الداخلي شعرت بغربة، انفصلت روحها عنها، كأنها شخصية ابتدعها مؤرخ يزعم إمكانية تعدد الأرواح داخل الجسد الواحد .

لمحت لمى تختبئ في الجهة الأخرى من حديقة المنزل، أسرعت تناديها " لمى، هل عدت إلي ؟"

دارت حول المنزل المقفل الأبواب، تنادي بصوت يكاد يسمع والحرارة تزداد في جسدها "لمى، لمى ".

أيقنت انها تتوهم وجودها، وقفت تشعر بغصة تمنعها من الدخول، جلست على عتبة الباب الداخلي المغلق، ورياح الخماسين الحارة تضرب وجهها بقسوة وتعبث بشعرها.

- كيف أتصرف ؟ كيف أنجو؟ هل أهاجر؟.

توالت أحلامها تتزاحم في رأسها لتغطي غصتها، عادت تهز رأسها بالرفض وقد راودتها فكرة أخرى بالسفر لجزر لا تكلف كثيراً من المال في دول شرق آسيا امتدحتها الصديقات. كم تحتاج للاسترخاء وموازنة قواها المنهكة " هل يُسمح لي بالسفر، لن يوافق أحد على منحي جواز عبور" ! ارتخى عصب رقبتها بإحباط.

بدأت تعطس، تشعر بألم يجوب عظامها، ازداد عطاسها بشدة، لم تجد محرمة داخل حقيبتها، فتحت الباب، يبدو المنزل وكأنه يخلو في تلك الساعة قبل منتصف الليل، دخلت مسرعة باتجاه المحارم الورقية على الطاولة جانب باب المطبخ، هزت قدميها ليسقط حذاؤها على الأرض دون أن تخلع عباءة تتعثر بها، يزداد الصداع في رأسها مسحت أنفها، تتنفس بصعوبة أكثر، بدأت الحمى تسري في جسدها بسرعة، تتوارى لها الأخيلة، مشت باتجاه مخدة ملونة على إحدى مقاعد الصالة، لديها عينان وقدمان تمد يديها تدعوها لحضنها، اقتربت منها: " لمى " حضنتها وأخذت تبكي:" لمى حبيبتي اشتقت لك " .

سمعت صوت فارس يناديها للخروج، تتخيل صورته، تبعته وخصلة من شعرها تسقط كورقة شجر على عينها اليسرى وهي تحضن مخدة تظنها ابنتها، خيال فارس يبدو أطول، يرتدي فنيلة قطنية بيضاء قصيرة وواسعة، عيناه تبرقان رغم الظلام، خرجت إلى الشارع تتعثر في عباءتها،

تبحث عن فارس، تلهث أنفاسها مع سخونة الرياح، تلتفت لليمين واليسار .. تناديه :

- فارس .. فارس .

تسمع صوت إبنها يناديها ، تتردد أصداء صوته في سمعها من كل الأزقة التي تصب في الشارع .. تجري خلف صدى صوته الحنون، حتى توارت في ظلام تختبئ خلفه العيون .

المؤلفة في سطور

وفاء عبدالرحمن

من مواليد المملكة العربية السعودية

صدر لها

حب في العاصمة- رواية - دار فراديس للنشر 2009

أن الرواية كمجمل الأعمال السردية لا تحتاج التقديم من خارجها، بل هي تقدم نفسها وفكرتها الرئيسية وتضع خطة العمل الخاصة بها للتأثير في أنفسنا. كما أنها لا تحتاج تعريفاً بها في حديث طويل عن الشخصيات والأحداث، لأن تعريف الشخصيات وأجواء العمل وشرح ذلك كله للقارئ هو من عمل الروائية وقد فعلت ذلك باقتدار.

الحب وعمى ألوانه، الزواج ومسؤولياته، الجنس وتبعاته، الأبناء ومتاعبهم، البنات ومراهقتهن، الحلال والحرام، العلاقة العاطفية خارج بيت الزوجية، الرغبات المحرمة، الرغبات المكبوتة، الرغبات التي ينالها طالبوها حينا بجمال بالغ وحينا بقبح لا ينتهي، والمجتمع السعودي بنقائصه ونقائضه وطموحاته وأحلامه، والمرأة السعودية وسط هذا كله. تلك هي بعض حكايات هذه الحكاية التي تقدمها لنا وفاء عبدالرحمن، وهي بعض ما يجعلنا نفكر ونتساءل.

لنقرأ هذه الرواية ونفكر معها..

هي تضيف لنا بلا شك..

وهي تحملنا مسؤولية باتجاه التحول للأجمل..

وحسبنا من رواية أن تفعل بنا ذلك،

وهذه الرواية تفعل ذلك.

عبدالواحد اليحيائي


ISBN 978-9953-542-93-5
9 789953 542935

فراديس للنشر والتوزيع - مملكة البحرين